روائع المسرح العالمي

٣٠

الرجل رجل

دائرة الطباشير القوقازية

تأليف برتولت برشت

ترجمة وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوي

مراجعة الدكتور علي الراعي

السيد بنتيلا وتابعه ماتي

رجل

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

تصدير

برتولت برشت

برتولت برشت شاعر ومؤلف مسرحى ومخرج — يحتل مكانة خاصة فى المسرح العالمى المعاصر لما امتاز به شعره ومسرحه واخراجه من جدة واستثارة ورغبة فى التجديد الجذرى الشامل، وما صاحب هذا كله من ملابسات سياسية اضطرب فيها وجعلت حياته حافلة بالأحداث .

ولد برشت فى مدينة أوجسبرج فى العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٩٨ فى مقاطعة باڤاريا بجنوبى ألمانيا . وكان أبوه ، برتولد فريدرش برشت ، مديرا لمصنع ورق ، ميسور الحـال ، وكان مسيحيا كاثوليكيا ، بينما كانت أمه مسيحية بروتستنتية . ولعل هذا الخلاف المذهبى كان ذا أثر فى انصراف برشت—فى نضوج عمره — عن الأمور الدينية ، وان كان قد صرح ذات مرة بأن أكبر كتاب أثر فى عمله العقلى هو الكتاب المقدس! وكانت أسرته اذن من الطبقة البورجوازية التى احتلت فى ألمانيا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والأول من هذا القرن مكانة بارزة

فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى ألمانيا ، بفضل التقدم الصناعى الهائل. فاذا كان فى نزعته السياسية والاجتماعية خصما لدودا للطبقة البورجوازية ، فما كان ذلك الا رد فعل مألوفا عند المثقفين الذين ينتسبون الى هذه الطبقة ، وليس نتيجة منطقية لأوضاع اجتماعية عاشوا فيها .

وبعد أن أمضى سنوات دراسته الابتدائية والثانوية فى أوجسبرج التحق فى سنة ١٩١٧ بكلية الطب فى جامعة منشن (ميونخ) . لكن الحرب اقتضت استدعاء الشباب ابتداء من سن السابعة عشرة ، فالتحق برشت عما قليل بالجيش كمعاون صحة فى مستشفى أوجسبرج العسكرى . وكانت تجربة أليمة لم ينسها أبدا : فقد أثرت فى نفسه رؤية المشوهين والجرحى فى المستشفى ، ومنذ هذه اللحظة بدأت نزعته الى السلام التى نراها فى ثنايا مسرحياته كلها . وفى سنة ١٩١٨ ألف أولى مسرحياته وتدعى : « بعل » Baal ، وقد وضعها معارضة لمسرحية « الوحيد » (سنة ١٩١٧) التى كتبها هانز يوست ، التى وصف فيها يوست مأساة العبقرية فى كفاحها مع المحيط والبيئة ، فاتخذ بطلا لها الشاعر جرابه Grabbe وجعله رمزا للمصير الألمانى الأسيان والتعمق الباطن فى الروح الألمانية . أما مسرحية برشت هذه ، « بعل » ، فبطلها سكير عربيد وشاعر غنائى ، وسفاح ،

ومتشرد ، يغنى الأغانى التى يؤلفها فى خمارات السواقين . وقد اتخذ برشت نموذجا له الشاعر المتشرد الصعلوك فرانسوا ڤيون Villon ثم لمحات من رانبو Rimbaud ثم وضع فى هذه المسرحية نوازعه الفوضوية العنيفة ، وثورته على الحياة البورجوازية الرتيبة المنتظمة الهادئة الميسورة ، ومن هنا كان فى مسرحية « بعل » هذه من الحيوية وصدق التصوير والترجمة الذاتية ما جعل موضوعها أو لمحات منه يتردد فى ثنايا كثير من مسرحيات برشت الكبرى فيما بعد : اذ نجد أصداءها ولمحاتها فى شخصية « أزدك » فى « دائرة الطباشير القوقازية » ، وفى شخصية الجندى شويك فى مسرحية « حياة جالليو » .

وبدأت شهرة برشت ؛ فأصبح ناقدا مسرحيا فى جريدة « ارادة الشعب » التى تصدر فى أوجسبرج ، سنة ١٩١٩ واستمر فى هذا حتى ديسمبر سنة ١٩٢٠ . وكان يتردد بين منشن وأوجسبرج ، ويخالط النقاد والأدباء فى مقهى استيفانيا Stephania ، الذى كان يضم آنذاك نفرا من شباب الأدباء الثائرين . وألف فى تلك السنة ، سنة ١٩١٩ مسرحية أخرى تدعى « اسبارتاكوس » . وتعرف الى قصصى واسع الشهرة ، هو ليون فويشتڤانجر (١٨٨٤/٧/٧ — ١٩٥٨/١٢/٣٢)

الذى ألف روايات تاريخية طبعت ملايين الطبعات . وقد وصف فويشتڤانجر هذا اللقاء بقوله : « جاءنى فى مسكنى فى منشن شاب فى مطلع الشباب ، نحيل القوام ، كث اللحية ، مهمل البزة. التصق بالحائط ، وتحدث بلهجة اشقابية وهو مؤلف مسرحية » — وهذه المسرحية هى مسرحية « اسپارتاكوس » التى أخرجها هو بنفسه فى « مسرح الغرفة » Kammerspiele فى منشن تحت عنوان : « طبول فى الليل » ، وبهذه المسرحية التى نال بها جائزة كليست سنة ١٩٢٢ أصبح برشت فى طليعة كتاب المسرح فى ألمانيا ، فضلا عن ابتكاره لأسلوب جديد تماما فى الاخراج ، وظهرت لديه بواكير نظريته فى المسرح ، أعنى نظرية «الاغراب» Verfremdung التى سنتحدث عنها فيما بعد .

وتوفيت أمه فى أول مايو سنة ١٩٢٠ ، وكان برشت لا يزال يتردد بين أوجسبرج ومنشن طالبا فى كلية الطب ؛ فانتقل نهائيا بعد وفاتها الى منشن حيث أقام مع المغنية ماريانه اتسوف Marianne Zoff التى تزوجها فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ . وكانت مسرحية « طبول فى الليل » قد لفتت اليه أنظار النقاد فى برلين ، فانتقل الى برلين فى ربيع سنة ١٩٢٢ للاتصال بالمسارح وبالناشرين ، وغشى المقاهى الأدبية وتعرف عند محرر جريدة « برلينر تاجبلت » أوتوزاوك ، الى ارنولت برونن Bronnen

الذى أعجب به وسمح له باخراج مسرحية « قاتل أبيه » فى « المسرح الحديث » ولكن أسلوب برشت فى الاخراج أذهل وأفزع برونن فلم يتفقا . ولم يطب المقام لبرشت فى برلين ، فعاد الى منشن ، وألف مسرحية « فى أجمة المدن » التى أخرجها ارش انجل Erich Engel فى مسرح الرزيدنتس Residenztheater فى ٩ مايو سنة ١٩٢٣ . وأصبح برشت ناقدا ومسرحيا فى « مسرح الغرفة » فى منشن . وألف بالاشتراك مع فويشتڤانجر، مسرحية بعنوان « حياة ادورد الثانى » تستند الى مسرحية كرستوفر مارلو ، ومثلت فى « مسرح الغرفة » . وبعد اخراج هذه المسرحية استدعاه ماكس رينهرد المخرج الألمانى الكبير الى برلين هو وكارل اتسوكماير ، فرحل نهائيا الى برلين فى سنة ١٩٢٤ .

وهنا فى برلين التقى برفيقة حياته هيلانه ڤيجل Helene Weigel الممثلة الممتازة التى لعبت الأدوار النسائية الرئيسية فى مسرحيات برشت ، وهى وريثته الساهرة حتى اليوم على تراثه فى برلين الشرقية .

وهنا أيضا بدأ فى دراسة الماركسية دراسة عميقة فى دروس ليلية كانت تلقى عن الماركسية ، وبهذا عمق تيار اليسارية التى نزع اليها برشت منذ مطلع شبابه .

وكذلك ألف مسرحية «الانسان هو الانسان» فى سنة ١٩٢٤ (وسنة ١٩٢٥) ، التى مثلت لأول مرة فى مدينة درمشتات فى ١٩٢٦/٩/٢٦ .

وفى سنة ١٩٢٨ ألف برشت مسرحيته التى جلبت له شهرة عالمية ، وهى « أوبرا الثلاثة قروش » التى عرضها « مسرح رصيف بناة السفن » الذى شيد حديثا ، وتولى اخراجها ارش انجل تحت اشراف المؤلف نفسه برتولت برشت ، كما هى العادة. ومنذ هذه اللحظة وهذا المسرح يتولى اخراج مسرحيات برشت حتى الآن (فيما عدا الفترة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٥٠) . وهذه المسرحية تحليل ونقد عنيف للمجتمع البورجوازى والرأسمالى ، يقوم على قولة برودون المشهورة ان « الملكية سرقة » . واستند برشت فى وضعه لهذه المسرحية على رواية جون جاى John Gay : « أوبرا الفقير » ؛ وجعل بطلها قاطع الطريق ماكهيث Macheath وعصابته . وكان جاى قد أراد بها السخرية من كبار رجال السياسة ، والطبقة الراقية . كذلك قصد منها برشت الى السخرية من المجتمع البورجوازى الرأسمالى .

ونجحت هذه الرواية نجاحا منقطع النظير . غير أنها هوجمت من ناحية خطيرة أخرى ، وهى السرقة الأدبية . فقد هاجمه

الناقد ألفرد كر Kerr لأنه لم يذكر اسم المترجم لأشعار ڤيون التى أوردها برشت فى هذه المسرحية كما ترجمها هذا المترجم وهو آمر K. L. Ammer وأسقط فى يد برشت فأعلن أسفه لأنه نقل ترجمة آمر دون أن يشير الى أنها ترجمة آمر وقال : « أعترف بأنى وياللأسف نسيت ذكر اسم آمر . وانى لأقرر بأن مرجع ذلك الى اهمالى فى مسائل الملكية الأدبية » . وهذا التصريح جعل الكثيرين من خصوم برشت يوغلون فى بيان سرقاته الأدبية ، وأنه يأخذ المواد من مختلف المصادر دون أن يشير صراحة الى ذلك . غير أننا لسنا بازاء سرقة أدبية بالمعنى الحقيقى — اللهم الا فى حالة ترجمة آمر لأشعار ڤيون — بل بازاء مصادر ومواد استلهام . فكما أننا لا نتهم شكسبير بالسرقة من فلوطرخس وكتاب المآسى اليونانية ، ولا نتهم راسين بالسرقة من يوريفيدس أو سوفوقليس واسخيلوس — كذلك يجب أن ننظر الى المواد والموضوعات التى اقتبسها برشت واصطنعها موضوعا أو مادة أو أسلوبا شعريا فى مسرحياته ، كما لاحظت ماريانه كستنج فى كتابها عن برشت (همبورج ، سنة ١٩٥٩) ص ٤٧ .

وهنا فى « مسرح رصيف بناة السفن » كانت تجرى التجارب الثورية التى أحدثها برشت فى عالم المسرح وأصبحت تقترن

اليوم باسم هذا المسرح وباسم الفرقة التى سينشئها برشت فى سبتمبر سنة ١٩٤٩ باسم « البرلينر انسامبل Berliner Ensemble فهنا كان كبار الممثلين فى مسرحيات برشت ، ونخص بالذكر منهم أولا ارنست بوش Ernst Busch ثم هيلانه ڤيجل Helene Weigel وأوسكار هومولكا Oscar Homolka

واشتد نقد برشت للمجتمع الرأسمالى فى مسرحيته « صعود وسقوط مدينة ماهاجونى » التى ألفها فى سنة ١٩٢٨/١٩٢٩ ، وقد مثلت لأول مرة فى ٩ مارس سنة ١٩٣٠ فى مدينة ليبتسك ، فأحدثت ضجة هائلة . وفيها نقد ماركسى النزعة لأحلام المجتمع الرأسمالى . وخلاصتها أنه شيدت مدينة تدعى ماها جونى ، شعارها : « بالمال تحصل على كل شىء » . وفيها أغان ممتازة ، وفى عباراتها استثارة للبورجوازية واضحة عنيفة ، وزاد من قوة تأثير هذه الأغانى موسيقى كورت ڤيل Kurt Weill .

وفى الملاحظات التى أبداها برشت بشأن مسرحيته « صعود وسقوط مدينة ماهاجونى » عبر برشت عن نظريته فى المسرح الملحمى . فلنلخص الآن هذه النظرية .

يقول برشت ان المسرح الحديث هو المسرح الملحمى ، وفى الجدول التـالى يتبين الفـارق بين المسرح الملحمى والمسرح

الدرامى على أنه ينبغى أن نلاحظ أن هذا الجدول لا يدل على تعارض وتضاد بين النوعين المتقابلين بقدر ما يدل على زيادة توكيد الخصائص دون خلوه من الصفات الموجودة فى الناحية المقـابلة :

المسرح الدرامى :	المسرح الملحمى :
يجرى الحوادث	يروى الحوادث
يشبك المتفرج فى حوادث المسرح	يجعل المتفرج مجرد مشاهد
يستهلك فاعلية المتفرج	يوقظ فاعليته
يثير فى نفسه مشاعر	يحمله على اتخاذ قرارات
تجربة حية	صورة للعالم
المتفرج يشتبك فى الشىء	المتفرج يقف فى مواجهة الشىء
ايحاء	موضوع وقصة
يحافظ على المشاعر	يدفع بالمشاعر الى مرتبة المعارف
المتفرج يشترك فى قلب الأحداث ويعيشها	المتفرج يتطلع الى الاحـــداث ويدرسها
يفترض أن الانســان معروف مقدما	الانسان موضـوع تحت البحث
الانسان غير القابل للتغيير	الانسان المتغير القابل للتغيير
تلهف على المخرج والنهاية	تلهف على مجرى الحوادث
كل فصل مرتبط بالآخر	كل فاصل قائم برأسه
	تركيب (مونتاج)

نمو	
الأحداث تجرى فى خط مستقيم	الأحداث تجـرى فى خطوط منحنية
حتمية التطور	وثبات
الانسان شىء ثابت	الانسان عملية تحول
التفكير يعين الوجود	الوجود الاجتماعى يعين التفكير
الشعور	العقل
الموسيقى تخدم	الموسيقى تنقل التعبير
الموسيقى تقوى النص	الموسيقى تفسر النقص
الموسيقى تفترض النص	الموسيقى تسبق النص
الموسيقى توضح	الموسيقى تتخذ موقفا
الموسيقى ترسم الموقف النفسى	تقدم السلوك وتعرضه

ومن هذا الجدول يتبين بطريقة اجمالية ما هنالك من فوارق بين المسرح الدرامى ، وبين المسرح الملحمى الذى يدعـو اليه برشت وبه وحده يمكن أن يفهم البناء والاخراج فى مسرحياته . ولقد ميز أرسطو بين الملحمى وبين الدرامى ، لكنه لم يميز بين المسرح الملحمى والمسرح الدرامى . فالملحمى يتعلق بالملاحم ، بينما الدرامى هو وحده فى نظر أرسطو الذى يتعلق بالمسرح . ومن هنا قيل ان مسرح برشت (المسرح الملحمى) مضاد للمسرح الأرسطالى . وبرشت يؤكد التعارض بين نظريته وبين نظرية أرسطو فى مقالاته عن المسرح ، خصـوصا تلك التى جمعت

تحت عنوان « كتابات عن المسرح Schriften Zum Theater (وظهرت عند الناشر سوركامب فى سنة ١٩٥٧)

وخاصية أساسية أخرى فى نظـرية برشت فى المسرح هى ما يسـميه هو باسـم : Verfremdungs effect (V-Effekt) أى « الاغراب » ، ويقصد به احداث أثر الغرابة فى نفس المشاهد مع ادراكه لما يشاهده . فالصورة المغربة هى تلك التى تجعلنا ندرك الموضوع وفى نفس الوقت تشعرنا بأنه « غريب » عنا . وكان المسرح فى العصور اليونانية والوسطى يحدث هذا التأثير ، تأثير الاغراب ، عن طريق أقنعة الانسان والحيوان ، والمسرح فى آسـيا لا يزال يسـتخدم حتى اليوم وسائل موسـيقية وبنتوميمية Pantomimische لاحداث تأثير الاغراب . فالهدف اذن هو انتزاع المتفرج من الشعور بأن الممثل هو فعلا الشخص الذى يمثـله ، وذلك تحقيقا للفكرة التى بيناها فى الجـدول السابق ، فكرة أن المسرح الملحمى يجعل المتفرج متفرجا فحسب ، لا ينخرط ولا يندمج فى الأحداث الممثلة ، بخـلاف المسرح الدرامى التقليدى الذى يهدف خصوصا الى ادماج المتفرج فى التمثيل والممثلين والأحداث التى تمثل .

ونكتفى بهذا القدر فى بيان نظرية برشت فى المسرح الملحمى ،

محيلين القارىء الى البحث الشامل الذى نحن بسبيل القيام به عن برشت ومسرحه .

ولنعد لمتابعة حياة برشت . فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ تولى أدولف هتلر الحكم ، والنازية كانت خصما لدودا للماركسية التى اعتنقها ودافع عنها برشت ودعا اليها فى مسرحياته وبعض كتاباته . وسرعان ما أدرك برشت أنه لا مقام له تحت حكم النازى . وكان انذار الخطر هو احتراق الريشستاج فى ٢٧/٢/١٩٣٣ . فهرب برشت وأسرته وبعض أصدقائه الى براغ . وفى ١٠ مايو من السنة نفسها أحرقت كتب برشت أمام أوبرا برلين . ومن ثم ، أى فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٣ بدأ برشت حياة الهجرة .

هاجر أولا الى براغ ثم ڤينا ثم اتسورش (زيورخ) فى سويسرة ، وأقام من ابريل حتى سبتمبر سنة ١٩٣٣ فى كارونا بمقاطعة التشينو فى سويسرة . وارتحل الى باريس فأقام بها قليلا ، ومنها رحل هو وأسرته الى كوبنهاجن فى الدانيمرك . وبدأ يسهم بالكتابة فى بعض الصحف التى أصدرها المهاجرون من حكم النازى ، مثل صحيفة « المجموعة » (وتصدر فى أمستردام) و « المسرح العالمى الجديد » (وتصدر فى براغ) ،

و « الصحائف الألمانية الجديدة » (وتصدر فى براغ) و « هذا العصر » (وتصدر فى باريس) . وفى الفترة من نوفمبر حتى ديسمبر سنة ١٩٣٤ ارتحل هو والموسيقار الذى وضع موسيقى لكثير من مسرحياته ، هانس ايسلر (المتوفى فى أغسطس سنة ١٩٦٢) الى لندن . وفى ٨ يونية من سنة ١٩٣٥ أسقط النازيون عنه الجنسية الألمانية . وتعبيرا عن سخطه على النازية كتب مسرحية « الفزع والشقاء فى الريش الألمانى الثالث » (من سنة ١٩٣٥ الى سنة ١٩٣٨) ، وقد مثلت فى باريس فى مايو سنة ١٩٣٧ . وكذلك مثلت فى باريس المسرحية التى كتبها عن الحرب الأهلية الأسبانية بعنوان « أسلحة السيدة كرارة » .

ومن أبرز ما ألف من مسرحيات فى تلك الفترة ، مسرحية « الأم شجاعة » التى تعد الى جانب مسرحيتنا هذه قمة انتاج برشت ، وقد كتبها فى سنة ١٩٣٩ ومثلت لأول مرة فى تسورش (زيورخ) فى ١٩ أبريل سنة ١٩٤١ . وقبل أن يحتل النازى الدانيمرك فى أبريل سنة ١٩٤٠ هرب برشت عن طريق السويد الى فنلندة . ولما امتلأت فنلنده بالجيوش النازية ، هرب برشت وأسرته الى كاليفورنيا ومر فى طريقه بموسكو حيث أقام فترة قصيرة اخترق بعدها سيبريا الى ڤلاديڤوستك ، ومن ڤلاديڤوستك أبحر الى سان بدرو San Padro فى كاليفورنيا

بالولايات المتحدة الأمريكية ، ثم سكن بيتا فى سانتا مونيكا بالقرب من هوليوود ، حيث التقى بصديقه القديم القصصى ليون فويشتفانجر ، وألدوس هكسلى ، وهانز أيسلر ، وپول ديساو ، وهينرش مان ، وبدأت صداقته مع شارلى شابلن . وقام بعدة رحلات الى نيويورك .

وفى سنتى ١٩٤٤/١٩٤٥ كتب مسرحيتنا هذه : « دائرة الطباشير القوقازية » التى لم تمثل الا بعد ذلك بعشر سنوات ، فى ١٥ يونية سنة ١٩٥٤ اذ قامت بتمثيلها لأول مرة فرقة برلين Berliner Ensemble .

ومن المسرحيات الكبرى فى تلك الفترة : « حياة جاليليو » التى كتبها فى ١٩٣٨/١٩٣٩ ولكنها لم تمثل الا فى تسورش (زيوخ) فى ٩/٩/١٩٤٣ ، وترجمها هو وشارلز لوتون ، الممثل المسرحى والسينمائى المشهور الى الانجليزية حيث مثلت فى نيويورك سنة ١٩٤٦ ، وكذلك مسرحية « الرجل الطيب من ستسوان » التى كتبها سنة ١٩٣٨/١٩٣٩ ولكنها مثلت لأول مرة فى تسورش فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٣ .

وانتهت الحرب ، وعاد برشت الى أوربا ، فذهب الى تسورش أولا فى نهاية سنة ١٩٤٧ ، حيث أقام فى تسورليبرج

على بحيرة تسورش ، واشتغل بالاشتراك مع ماكس فرش Frisch وانتظر حتى يحصل على سمة دخول لألمانيا الغربية ؛ ولكن قوات الحلفاء رفضت أن تسمح له بالدخول . فسافر الى براغ بجواز سفر تشيكى فى أغسطس سنة ١٩٤٨ الى براغ ومنها الى برلين الشرقية ، واشترى بيتا فى ڤيسنزيه حيث أقام وعيّن مديرا عاما « للمسرح الألمانى » فى برلين .

وفى سبتمبر عام ١٩٤٩ أنشأ هو وزوجته هيلانه ڤيجل Helene Weigel فرقة برلين Berliner Ensemble . التى بدأت فمثلت « الأم شجاعة » فى ١١ يناير سنة ١٩٤٩ ، وفى ١٢ نوفمبر مثلت « بونتيلا وعبدها ماتى » . وعملت الفرقة أولا فى « المسرح الألمانى » das Deutsche Theater . وفى ١٢ أبريل سنة ١٩٥٠ حصل هو وهيلانه ڤيجل على الجنسية النمساوية . ولكنه استمر يعمل فى برلين ، حيث أخذت فرقته فى عرض مسرحياته المختلفة . وانتقلت هذه الفرقة الى مسرحه القديم ، « مسرح رصيف بناة السفن » فى مارس سنة ١٩٥٤ ولا تزال تمارس عملها على هذا المسرح حتى الآن . ونالت الفرقة الجائزة الأولى فى التمثيل فى الاحتفال الدولى للتمثيل فى باريس فى يولية سنة ١٩٥٤ بتقديمها لمسرحية « الأم شجاعة » حيث شاهدنا نحن لأول مرة مسرحيات برشت .

واستمر برتولد برشت فى نشاطه فى التأليف والاخراج الى أن توفى فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٦ اثر نوبة قلبية أصابته من فرط الارهاق فى العمل .

ومسرحية « دائرة الطباشير القوقازية » التى نقدم هنا ترجمتها تعد رائعة برشت الكبرى ، لا ينازعها فى تلك المكانة غير « الأم شجاعة » ، و « حياة جاليليو » ، ولكنها فى رأينا أفضل من هاتين لأن شخصياتها أغنى وأكثر حياة .

وتقوم هذه المسرحية على حكاية صينية شبيهة بحكاية « حكم سليمان » المشهورة التى تروى كيف استطاع سليمان « الحكيم » أن يحكم حكما عادلا فى قضية امرأتين احتكمتا اليه فى طفل ادعت كلٌّ منهما أنه ابنها ، فلجأ الى حيلة وهى شطر الطفل شطرين لتأخذ كل منهما شطرا ، فأبت أمه الحقيقية أن يشطر وآثرت التنازل عنه ، اذ أبى عليها حنان الأمومة أن يذبح ابنها ، فكان ذلك أقوى دليل على أنها الأم الحقيقية ، فحكم سليمان لها ؛ أما فى الحكاية الصينية فبدلا من وسيلة شطر الولد الى نصفين اقترح القاضى رسم دائرة طباشير وضع فيها الطفل وطلب من كلتا السيدتين المتنازعتين أن تشد الطفل من ذراعه الى ناحيتها ، فالتى تستطيع اخراجه من دائرة الطباشير ستكون هى الأم الحقيقية ، لأن قوة الأمومة أكبر .

وقد أخذ برشت هذه الفكرة من الحكاية الصينية ، لكنه عكس النتيجة لأنه لم يجعل الأم الحقيقية هى التى يحكم لها بالابن ، بل حكم القاضى الغريب الأطوار ، أزدك ، بطل الرواية هو وجروشا ، الخادمة التى أنقذت الطفل وعنيت به وفرت به ، نقول انه حكم لجروشا بأحقيتها فى الطفل من أمه الحقيقية ، لأنها هى التى اهتمت بالطفل ورعته ، بينما أمه هربت وتركت طفلها لما أن اشتعلت الثورة وقتل زوجها الحاكم فى احدى مدن القوقاز .

ومغزى هذا الحكم الغريب واضح عند برشت وهو أن الأقدر على الشىء هو الأحق به .

والمسرحية تتألف من استهلال وخمسة فصول . والاستهلال يصور نزاعا بين جماعتين من جماعات المزارع الجماعية حول واد رحلت عنه احداهما تحت تأثير زحف الجيش الألمانى على روسيا ، ثم عادت بعد هزيمة ألمانيا وطالبت بواديها ، فنازعتها فى ذلك جماعة مجاورة رأت أن مشروعا للرى يفيدها يقتضى أخذ الوادى لتنفيذ المشروع . وحسما للنزاع يعرض مغنون حكاية « دائرة الطباشير » ، وهذه تشغل الفصول الخمسة . فالمسرحية اذن تتألف من قسمين منفصلين تمام الانفصال : الاستهلال ، والفصول الخمسة . ولهذا فان بعض المسارح ،

لأسباب بعضها سياسى وبعضها فنى ، تطرح الاستهلال وتبدأ الرواية بعده .

وخلاصة حوادث الرواية أن ثورة قام بها الأمراء فى احدى مدن القوقاز أطاحت بالحاكم الذى عينه الدوق الكبير . وفى لحظة الهرب نسيت زوجته أن تأخذ ابنها الطفل ، فاضطرت الى أخذه خادمة من خدمها تدعى جروشا ، عرفت أنه مطلوب القبض على الطفل ، فهربت فى الجبال الشمالية عند أخيها . واستطاع الدوق الكبير أن يستعيد سلطانه ، وكان قد هرب وأخفاه كاتب عمومى يدعى أزدك . وعادت زوجة الحاكم وعرفت مصير ابنها الطفل فطالبت به فأتوا به من الجبال ، وتقدمت هى وجروشا الخادمة التى أنقذته : كل منهما تطالب بأحقيتها فى أخذه : الأم لأنه ابنها ، وجروشا الخادمة لأنها هى التى أنقذته وعنيت به وربته . والدوق الكبير حفظ لأزدك صنيعه معه ، فعينه قاضيا أو بالأحرى ثبته فى مركز القاضى بعد أن كان العامة قد وضعوه فى هذا المنصب أثناء ثورتهم . وحكم القاضى كما رأينا مستعينا بدائرة الطباشير حكمه هذا الغريب .

وأزدك شخصية فريدة فيها المكر والذكاء ، وفيها الجبن ؛ فيها الحدب الشديد على المساكين من أهل طبقته ، وفيها الخوف

الشديد من بطش الطبقة العالية ؛ فيه الأفكار الثورية ، والطاعة الرعديدة .

وجروشا فتاة ريفية قوية الشخصية ، مليئة بالحياة وسعة الحيلة وشدة الحيوية مع الجرأة والصراحة ونبل المشاعر .

وقد ترجمنا المسرحية عن الطبعة التى أصدرها الناشر Suhrkamp صديق برشت الحميم والأمين على نشر آثاره ، وقد نشرها لأول مرة فى برلين وفرنكفورت سنة ١٩٥٥ فى ١٤١ صفحة .

وبرشت كثيرا ما يعدّل فى نصوص مسرحياته نتيجة التمثيل وملاحظات معاونيه . كما كان يعاونه بعض المقربين والمقربات اليه من الممثلين والممثلات . ومسرحيتنا هذه قد عاونته فيها الممثلة الدانمركية روث برلاو Ruth Berlau .

وقد اقترحت هى علينا — عن طريق المخرج كورت فيت Kurt Vett الذى سيخرج هذه المسرحية للمسرح القومى بالقاهرة — تعديلات فى النص الذى سيمثل وتعديلات أخرى فى النص الأدبى نفسه . ولم نشأ أن نتحمل مسئولية هذه التعديلات قبل أن تصدر النشرة النقدية النهائية لهذه المسرحية عن أرشيف برشت فى برلين ، وهو القائم على تراثه ،

لهذا وضعنا هذه التعديلات فى الهامش ، وهى اما اختصارات للنص ، أو تغيير فى عبارته .

ولقد التزمنا نص نشرة سوركامب كما هو حرفيا ، لم نعدل فيه غير كلمات قليلة جدا ، وأعنى بها تلك الكلمات الفاحشة جدا التى لن يغفر لنا أحد ايرادها كما هى فى أصلها ، ولا يجوز أبدا النطق بها فى كتاب يذاع فى الناس أو مسرحية تمثل أمام الجمهور .

عبد الرحمن بدوى

الأشخاص

١ ـ فى مقدمة المسرحية

مندوب التعمير
فلاح عجوز
فلاحة
عامل شاب
} من مزرعة « جالنسك » الجماعية

فلاحة
سائقة جرار شابة
جندى جريح
فلاح عجوز
} من مزرعة «روزا لوكسمبورج » الجماعية

كترينا فختانج : مهندسة زراعية فى مزرعة « روزا لوكسمبورج » الجماعية

٢ ـ فى الفصول

جورج ابشقيلى : حاكم
ناتاليا ابشقيلى : زوجة
ميخائيل ابشقيلى : ابنهما
ارسن كازبكى : أمير بدين
نقولا مكادزى
ميخائيل لوكادزى
} طبيبان
شلفا : ياور
اركادى تشيدسه : مغنى

سيمون شاشافا : جندى

جروشا فشنادزه : طباخة

ماشا : مربية أولاد

طباخ :

خادم :

عجوز :

سيدتان محترمتان :

فلاح وزوجته :

ثلاثة تجار :

لورنتى فشنادزه : شقيق جروشا

أنيقو فشنادزه : زوجته

يوسوب : فلاح ، زوج جروشا الموقت

شوفا : ضابط فرقة مسلحة

الجندى : « رأس خشب »

راهب :

أزدك : كاتب عمومى فى قرية

شوفا : شرطى

الدوق الكبير : لاجىء

بزرجان كازبكى : ابن أخى الأمير البدين

طبيب :

مشوه :

أعرج :

بلطجى :

صاحب فندق :

لودفيكا : زوجة ابن صاحب الخان

خادم

ثلاثة فلاحين اغنياء

فلاحة عجوز

اراكلى : قاطع طريق متزوج ابنة الفلاحة العجوز

طباخة

ايلو شوبولادزه : } محاميان

ساندرو او بولادزه :

زوج وزوجة : عجوزان جدا

شحاذون ـ جنود ـ خدم ـ رجال مسلحون ـ أصحاب مطالب .

الرموز الخاصة بالهوامش ، وهى تعديلات تتعلق بالمسرحية الممثلة .

م : المسرحية كما تمثل فى مسرح برلين

م + : يضاف مايلى

+ ... + : تحذف فى المسرحية الممثلة

* ... * : تحذف فى المسرحية الممثلة

مقدمة المسرحية

النزاع على الوادى

(بين انقاض قرية ضربت بالقنابل فى القوقاز ، تحلق سكان مزرعتين جماعيتين وهم يشربون النبيذ ويدخنون ، وغالبيتهم من النسوة والشيوخ ، وقد اختلط بهم بعض الجنود ، ومعهم خبير من اللجنة الحكومية للتعمير جاء من العاصمة)

فلاحة : (على اليسار ، تشير بيدها) هناك ، على التلال أوقفنا ثلاث دبابات نازية ، لكن فسائل التفاح كانت قد حطمت .

فلاح عجوز : (على اليمين) مزرعتنا الجميلة ! لم يبق منها غير أنقاض !

سائقة جرار : (على اليسار) أنا الذى أشعلت الحريق يا رفيقى .

(صمت)

الخبير : اسمعوا الآن نص المحضر : « وصل الى نوخا[1]

---

(١) م : الى هنا فى نوخا

وفد من مزرعة جالنسك الجماعية ، وهى مزرعة لتربية الماعز . وبناء على أوامر السلطات أخذت هذه المزرعة قطعانها وسارت بها ناحية الشرق ، لما أن تقدمت الجيوش الهتلرية . وهى تريد الآن أن تعود الى هذا الوادى . وقد فحص المندوبون القرية والأرض وشاهدوا أن نسبة التدمير عالية . (المندوبون على اليمين يوافقون بهز رءوسهم) . والمزرعة الجماعية المجاورة[1] ، مزرعة « روزا لوكسمبورج » المنتجة للفواكه (وممثلوها على اليمين) تقترح أن تستخدم مراعى مزرعة جالنسك القديمة ، وهى واد نادر العشب لزراعة الكروم وأشجار الفاكهة حين يتم اصلاحها . وبوصفى خبيرا مكلفا من لجنة التعمير ، فانى أطلب من القريتين الجماعيتين أن تتفقا فيما بينهما وتقررا ما اذا كانت مزرعة جالنسك تعود الى هنا ، أو لا تعود » .

الفلاح العجوز : (على اليمين) أريد أن أبدأ بأن أجدد احتجاجى ضد تحديد مدة للكلام . اننا نحن

(١) م : المتاخمة

أبناء مزرعة جالنسك قد أمضينا ثلاثة أيام بلياليها للوصول الى هنا ، والآن يطلب منا أن نتناقش فى أقل من نصف يوم .

الجندى الجريح : (على اليسار) يا رفيق ، ان عدد قرانا نقص وعدد الأيدى العاملة نقص والوقت قليل .

السائقة الشابة : (على اليسار) يجب ادخال نظام البطاقات فى كل ألوان التسلية ، فالدخان بالبطاقات ، والنبيذ بالبطاقات ، والمناقشات أيضا يجب أن تكون بالبطاقات .

الفلاح العجوز : (على اليمين ، متنهداً) الموت للفاشست ! أريد أن أصل الى الموضوع ، وأشرح لكم لماذا نريد أن نستعيد وادينا . هناك أسباب عديدة ، ولكنى أبدأ بسبب بسيط جدا . يا مكينة ابكدزه ، اخرجى الجبن !

(فلاحة على اليمين تخرج من سلة كبيرة قطعة ضخمة من الجبن ملفوفة بانشاش . تصفيق وضحك .)

الفلاح العجوز : (على اليسار ، مستريبا) أو تريدون أن تؤثروا فينا ؟

العجوز : (على اليمين ، ضاحكاً) الجبن ، يؤثر فيك ؟ أنت يا سوارب يا سارق الأودية ؟ نحن نعرف جيدا انك ستأخذه ، ووادينا أيضا . (ضحك) . كل ما أريده منك جواب صريح : هل هذا الجبن جيـد ؟

العجوز : (على اليسار) الجواب : نعم .

العجوز : (على اليمين) جيد ؟ (بمرارة) : كان علىّ أن أدرك أنك لا تفهم شيئا فى الجبن .

العجوز : (على اليسار) لماذا ؟ اذا كنت أقول لك انه جيـد !

العجوز : (على اليمين) لأنه من المستحيل أن تجده جيدا ، اذ لم يعد كما كان منذ زمان . ولماذا لم يعد كما كان منذ زمان ؟ لأن ماعزى لا يجد للعشب طعما كما كان يجده فى عشب الزمان الماضى . هناك جبن وجبن ، لأن هناك عشبا وعشبا ، هذا هو الحق . كن لطيفا ، وضع هذا فى محضر الجلسة .

العجوز : (على اليسار) لكن جبنك ممتاز .

العجوز : (على اليمين) انه ليس ممتازا ، انه لا بأس به أو أقل من ذلك . فالمرعى الجديد لا قيمة له ، وللشباب أن يقولوا ما يشاءون . ولكننى أقول انه لا يمكن العيش هناك . ان الصبح نفسه هناك ليس صبحا .

(يضحك البعض)

الخبير : لا تغضب اذا تضاحكوا ، فالواقع أنهم يفهمونك تماما . رفيقى ، قل لى لماذا يحب المرء وطنه ؟ السبب هو ما يأتى : فيه الخبز طعمه أحسن ، والسماء أرفع ، والهواء ألطف وأروح ، والصوت يرن فيه أوضح ، والأرض تتحمل السير أكثر . أليس كذلك ؟

العجوز : (على اليمين) ان هذا الوادى كان لنا منذ الأزل .

الجندى : (على اليسار) ما معنى هذا : « منذ الأزل » ؟ لا شىء يملكه انسان منذ الأزل . أنت نفسك حينما كنت صغيرا لم تكن ملك نفسك ، بل كنت ملكا لأمراء كازبكى .

العجوز : (على اليمين) الوادى لنا بموجب القانون .

السائقة الشابة : على كل حال يجب اعادة النظر فى القوانين والتحقق من أنها لا تزال سارية المفعول .

العجوز : (على اليمين) طبعا . وهل هو أمر لا أهمية له أن يكون بالقرب من المنزل الذى ولد فيه الانسان هذه الشجرة أو تلك ؟ والجيران ، هل لا يهمنا أمرهم ؟ اننا نريد أن نعود ، حتى لو كان ذلك من أجل أن تكونوا بالقرب من مزرعتنا الجماعية أنتم يا سُرّاق الأودية . هذا هو ، فاضحكوا مرة أخرى .

العجوز : (على اليسار ، ضاحكا) اذن لماذا لا تصغى فى هدوء الى ما تقوله جارتك كاتو فختانج المهندسة الزراعية ، عن هذا الوادى ؟

فلاحة : (على اليمين) نحن لم نقل ما نريد أن نقوله فيما يتصل بموضوع وادينا . ان البيوت لم تدمر كلها، وفى المزرعة لا تزال الأساسات على الأقل باقية .

الخبير : سواء هنا أو هناك ، لكم الحق فى معونة الدولة ، وأنتم تعرفون ذلك جيدا .

الفلاحة : (على اليمين) يا رفيقى الخبير ! نحن لسنا هاهنا فى السوق . اننى لا أستطيع أن أنتزع منك « كاسكيتتك » وأقدم لك بديلا عنها قائلة : « هذه أحسن » . يمكن أن تكون الأخرى أفضل ، ولكنك تفضل التى لك .

السائقة الشابة : (1) ان الأرض يا رفيقى ليست مثل « الكاسكيت » ، على كل حال فى بلدنا .

الخبير : لا تحتدُّوا . صحيح ، الأرض يجب أن نعدها أداة نستخدمها فى انتاج شىء مفيد . ولكن من الصحيح أيضا أنه ينبغى أن نحترم حب الناس لقطعة من الأرض معينة بالذات . وقبل أن نستمر فى المناقشة أقترح أن تشرحوا للرفاق فى مزرعة جالنسك الجماعية ما تنوون عمله بالوادى موضوع النزاع .

العجوز : (على اليمين) موافقون .

العجوز : (على اليسار) اتركوا كاتو تتكلم !

الخبير : رفيقتى المهندسة الزراعية ، تفضلى وتكلمى .

(تنهض المهندسة الزراعية ، وهى لابسة زيا عسكريا)

(1) م : كاسكيت ! ان الأرض .

المهندسة الزراعية: يا رفاقى ! فى الشتاء الماضى حينما كنا نقاوم ونحارب حرب عصابات فى هذه التلول ، تناقشنا فى الطريقة التى بها نعيد تعمير مزارع الأشجار المثمرة بحجم أكبر عشر مرات ، بعد أن يطرد الألمان . ولقد وضعت مشروعا لأعمال الرى . وبفضل سد يشيد على بحيرة الجبل يمكن رى ثلاثمائة هكتار من الأرض البور . وحينئذ يتيسر لمزرعتنا الجماعية غرس كروم بالاضافة الى أشجار الفاكهة الأخرى . ولكن هذا المشروع لا ينتج انتاجا جيدا الا اذا أدخلنا فيه الوادى المتنازع عليه والذى يدخل ضمن مزرعة جالنسك الجماعية . وهذه هى المقايسات كلها .

(تقدم ملفا الى الخبير)

العجوز : (على اليمين) أثبت فى المحضر أن (١) مزرعتنا الجماعية تنوى أيضا تربية خيول .

السائقة الشابة : يا رفاقى ! (٢) لقد صمم هذا المشروع أثناء

---

(١) م : أننا ننوى تربية خيول أيضا .

(٢) م : يا رفيقى .

الأيام والليالى التى كنا فيها ننام فى الجبال فى العراء ، ولم يكن لدينا أحيانا ذخيرة لبنادقنا الثلاث أو الأربع . ولقد كان يصعب علينا أن نجد قلما رصاصا .

(موافقة عامة)

العجوز : (على اليمين) اننا نشكر رفاقنا فى مزرعة « روزا لوكسمبورج » الجماعية وكل الذين دافعوا عن الوطن .

(يتصافحون بالأيدى ويحتضن بعضهم بعضا)

الفلاحة : (على اليسار) كانت فكرتنا اذن هى أن جنودنا وأزواجنا وأزواجكم يمكنهم أن يعودوا الى بلادهم ليجدوها أكثر خصبا عن ذى قبل .

السائقة الشابة : كما قال الشاعر ماياكوفسكى : « ان بلاد الشعب السوفييتى يجب أيضا أن تكون بلاد العقل » .

(ينهض المندوبون الذين على اليمين ، ماعدا العجوز ، ويدرسون مع الخبير رسومات المهندسة الزراعية . تسمع صيحات مثل :

« أين تأخذ الاثنين والعشرين مترا ارتفاع المسقط ؟ » — « ستنسف الصخرة التى

هناك » — « الواقع أنهم فى حاجة الى أسمنت وديناميت فقط » — « انهم يرغمون الماء على الانحدار الى هنا ، هذا لا بأس به » .

عامل شاب : (موجها الكلام الى العجوز ، على اليمين) : سيروون جميع الحقول التى بين التلال ، تأمل يا أليكو .

العجوز : (على اليمين) لا أستطيع [١] أن أنظر . أنا أعلم أن المشروع سيكون حسنا . لكننى لا أسمح بتصويب المسدس الى حلقى .

الجندى : (على اليسار) انهم يريدون أن يصوّبوا القلم الرصاص فقط ، لا المسدس .

(ابتهاج)

العجوز : (على اليمين ينهض حزينا ويغدو لينظر فى الرسومات) ان سُرّاق الأودية يعلمون ذلك جيدا ويالأسف — يعلمون أن المشروعات والآلات فى هذا البلد شىء لا يمكن مقاومته .

الفلاحة : (على اليمين) أليكو برشقيلى ! فيما يتعلق بالمشروعات الجديدة كل انسان يعرف أنك أنت المخيف .

(١) م : لا أريد

الخبير : وفيما يتعلق بمحضرى ؟ هل أسجل أنكم ستتدخلون من أجل أن توافق مزرعتكم الجماعية على التنازل عن واديكم القديم من أجل تنفيذ المشروع ؟

الفلاحة : (على اليمين) سأتدخل . وأنت يا أليكو ؟

العجوز : (على اليمين ، وهو منكب على الرسومات) أطالب بأن يسمح لنا بأخذ نسخة من هذه الرسومات .

الفلاحة : (على اليمين) اذن يمكننا أن نجلس الى المائدة فمادام معه الرسومات ويمكنه أن يناقشها ، فالمسألة قد انتهت . أنا أعرفه . والجميع عندنا هم أيضا كذلك .

(يتعانق المندوبون مرة أخرى وهم يضحكون)

العجوز : (على اليسار) تعيش مزرعة جالنسك الجماعية ! ومبروك عليكم الاسطبل الجديد !

الفلاحة : (على اليسار) يا رفاقى ! على شرف ضيوفنا مندوبى مزرعة جالنسك الجماعية والخبير نظمنا تمثيل مسرحية تتعلق بمشكلتنا الى

حد ما ، وذلك بمعونة المغنّى أركادى تشيدسه .

(تصفيق · مضت السائقة الشابة للبحث عن المغنى)

الفلاحة : (على اليمين) يا رفاقى ! يجب أن تكون المسرحية عظيمة ، انها تكلفنا واديا .

الفلاحة : (على السياسة) ان أركادى تشيدسه يحفظ عن ظهر قلب واحدا وعشرين ألف بيت من الشعر .

العجوز : (على اليسار) لقد قمنا بالتجارب تحت اشرافه . والواقع أننا تعبنا كثيرا فى حمله على المجىء . وأنت يا رفيق ، فى لجنة الخطة ، يجب أن تعمل بحيث نجعله يأتى الينا فى الشمال عدة مرات .

الخبير : اننا نهتم خصوصا بالمسائل الاقتصادية .

العجوز : (على اليسار ، باسما) انكم تنظمون كيفية توزيع الكروم والجرارات ، فلماذا لا تنظمون أيضا توزيع الأغانى ؟

(يدخل المغنى أركادى تشيدسه ، بصحبة السائقة الشابة ، فى الحلقة : وهو رجل قوى البنية ، بسيط فى حركاته · يصحبه عازفون يحملون آلاتهم الموسيقية ، ويستقبلون بالتصفيق) ·

السائقة الشابة : هذا هو الرفيق الخبير ، أركادى !

(المغنى يحيى الحاضرين)

الفلاحة : (على اليمين) انه لشرف (١) عظيم لى أن أتعرف اليك . لقد سمعت عن أغانيك وأنا لا أزال فى المدرسة .

المغنى : فى هذه المرة لدينا مسرحية فيها أغان ، ولكل انسان دوره ، أو يكاد . وقد أحضرنا الأقنعة القديمة .

العجوز : (على اليمين) هل ستكون أسطورة قديمة ؟

المغنى : قديمة جدا ، وتسمى « دائرة الطباشير » ، ان أصلها من الصين . وطبعا نحن سنمثلها على شكل جديد . يورا ، أريهم الأقنعة ! يا رفاقى ، انه لشرف لنا أن نزفه عنكم بعد مناقشة عسيرة . ونأمل أن يكون من رأيكم أن يرن صوت الشاعر القديم هو الآخر فى ظل الجرارات السوفييتية . انه من الخطأ مزج أنبذة من أنواع مختلفة ، لكن الحكمة القديمة والحكمة الجديدة

(١) م : انه ليسرنى كثيرا أن أتعرف اليك ·

تنسجمان معا انسجاما رائعا . والآن أرجو أن يقدم لنا جميعا الطعام قبل أن نبدأ التمثيل ، فانه يمدنا بالقوة .

أصوات : طبعا . تعالوا جميعا الى قاعة الاحتفالات .

(يذهبون لتناول الطعام فرحين . يتلفت الخبير الى المغنى)

الخبير : كم من الزمن تستغرق هذه الحكاية ؟ يجب علىّ أن أعود الليلة الى « تفليس » .

المغنى : (سارح الذهن) الواقع أنهما حكايتان . بضع ساعات .

الخبير : (بتحفظ) ألا يمكن اختصارها ؟

المغنى : لا .

- ١ -

الطفل النبيل

المغنى : (جالسا على الأرض أمام العازفين ، وعلى كتفيه جلد شاة أسود محلى بالجوخ ، يتصفح كتيّبا مستعملا صفحاته المعلّمة بعلامات) :

فى العصور الخالية
فى العصور الدامية
كان فى هذى المدينة — اللعينة
حاكم يُدعى بجورجى أبشقيلى
بذ قارون ثراء وغنى
وله زوج جميلة
ووليد حسن الشكل سليم
لم يكن فى كل أنحاء جيورجا
حاكم يربط فى المذود ما يربط من خيل كثير
وعلى أعتاب قصره * يقف الحشد الغفير
من جموع السائلين

وعلى الخدمة يسهر * كل أصناف الجنود
والى الديوان يسعى * كل طلاب المصالح
رجل من نوع جورجى أبشقيلى — كيف
يوصف ؟

كان يستمتع بالدنيا وينعم .

فى صباح الفصح ، مصحوبا بأهله ،
ذهب الحاكم جورجى للكنيسة (*) .

---

* الترجمة الحرفية : فى الزمان القديم ، فى عصور الدماء
كان يحكم هذه المدينة التى تدعى « الملعونة »
حاكم يسمى جورجى أبشقيلى
وكان غنيا غنى قارون
وله زوجة رائعة الجمال
وطفل قوى البنية
ولم يكن فى جورجيا حاكم له
مثل هذا المقدار من الخيول مربوطا على مذوده
وعلى بابه مثل هذا المقدار من الشحاذين
وفى خدمته هذا المقدار من الجنود
ولا فى قصره مثل هذا المقدار من أصحاب المطالب
كيف أصف لكم رجلا مثل جورجى أبشقيلى ؟
كان متمتعا بالحياة
وفى صباح يوم جميل فى عيد الفصح
ذهب الحاكم وأسرته الى الكنيسة .

(يخرج من باب القصر الكبير سيل من الشحاذين وأصحاب المطالب وهم يلوحون باطفال مهزولين وعكازات وعرائض . ومن ورائهم جنديان ، ثم أسرة الحاكم بملابس فاخرة)

الشحاذون وأصحاب المطالب : العفو يا صاحب العفو ! ان الضرائب باهظة . لقد فقدت ساقى فى الحرب ضد فارس ، فكيف أحصل على .. ؟ — أخى برىء ، يا مولاى . المسألة كلها مجرد سوء فهم . — انى أراه يموت جوعا . — من أجل تسريح آخر أولادنا من الخدمة العسكرية . — من فضلك يا مولاى ! مفتش المياه رجل مرتش .

(يجمع الخادم العرائض ، وخادم آخر يحمل كيسا من النقود يوزعها . والجنود يدفعون الناس ويضربونهم بسياط من الجلد كبيرة)

جندى : الى الوراء ! أفسحوا [1] مدخل الكنيسة .

(وراء الحاكم وزوجته والياور يصل ابن الحاكم فى عربة مطهمة . يتدافع الجمهور ويتقدم لرؤيته)

المغنى : (بينما الجنود يدفعون الجمهور بالسياط) :

---

(١) م : افسحوا الباب .

لأول مرة يرى الشعب الوارث ، فى يوم أحد الفصح .

وطبيبان يصحبان الطفل الرائع .

قرة عين الحاكم .

صيحات الجمهور : « الطفل ! » — « لا تدفع [١] هكذا ، انى لا أتمكن من رؤيتـه » — « بارك الله فيه يا مولاى ! » .

المغنى : وحتى الأمير القوى كازبكى
انحنى له عند مدخل الكنيسة

(يتقدم أمير بدين (وابن أخيه) [٢] ويحيى الأسرة)

الأمير البدين : عيد فصح سعيد ، ناتلا أبشقيلى !

(تسمع أوامر . يصل فارس ركضا ويقدم الى الحاكم علبة مليئة بالوثائق . وباشارة من الحاكم يقترب الياور ـ وهو شاب وسيم ـ من الفارس ويستبقيه . صمت قصير ، فى أثنائه يفحص الأمير البدين الفارس باسترابة) .

الأمير البدين : ياله من يوم جميل ! فى الليل لما أمطرت قلت

(١) م : انه مسرع .

(٢) أضافة الى نص سوركامب .

لنفسى : ياله من عيد فصح حزين ! أما فى الصباح فكانت السماء خاليـة من الغيوم . انى أحب السماء الخالية من الغيـوم ، ياناتلا أبشقيلى ، أنا قلب بسيط . و « ميخائيل » الصغير ، وعليه سيماء الحاكم منذ الآن ، زه زه . (يدغدع الطفل) [١] . عيد فصح سعيد ، يا ميخائيل الصغير ، زه زه .

زوجة الحاكم : ما رأيك يا أرسين فى أن جورجى قرر أن يبدأ فى بناء الجناح المقرر أن يكون ناحية الشرق . وكل الضاحية بعششها الحقيرة ستهدم لعمـل الحديقة ؟

الأمير البدين : هذا خبر سار ، بعد كل هذه الأنباء السيئة . ماذا يقولون عن الحرب ، يا أخى جورجى ؟ (حركة تهرّب يبديها الحاكم) . انسحاب وفقا للخطة ، كما قيل لى ؟ نكبات بسيطة تحدث دائما . يوم سعيد ، ويوم سيىء . صُدَف الحرب . أمر لا يهم كثيرا ، أليس كذلك ؟

زوجة الحاكم : لقد سعل ! سمعت يا جورجى ؟ (موجهة الكلام

(١) م + : ابن الأخ : زه ، زه !

بشراسة الى الطبيبين وهما واقفان خلف عـربة الطفل ، وكلاهما عليه مهابة) : لقد سعل .

الطبيب الأول : (موجها كلامه الى الطبيب الثانى) : هل أذكرك يانيقولا[1] مكادزى أننى عارضت فى أن يأخذ حماما فاترا ؟ غلطة صغيرة يا مولاى حين مزجنا ماء الحمام .

الطبيب الثانى : (بكل أدب هو الآخر) أننى لا أستطيع أبدا أن أشاركك الرأى يا [2] ميخالو كادزى ؛ ان درجة حرارة ماء الحمام هى تلك التى أشار بها الطبيب العظيم العزيز مشيكو أوبولذره . أظن أن السبب هو تيار هواء أثناء الليل ، يا مولاى .

زوجة الحاكم : لكن انظر ! ماذا به ، كأنه أصيب بالحمى ، جورجى [3] .

الطبيب الأول : (منحنيا على الطفل) لا داعى للقلق يامولاتى ؛

(١) م : ياعزيزى نيقولا .
(٢) م : ياعزيزى ميخا
(٣) م : تحذف

سنجعل ماء الحمام ساخنا أكثر ، ولن يحدث هذا مرة أخرى .

الطبيب الثانى : (ملقيا الى الأول بنظرة مسمومة) سأتذكر ذلك يا عزيزى ميخا لوكادزى . ولا داعى للقلق يا مولاى .

الأمير البدين : آه ، آه ، آه آه ! أقول دائما : كبدى يخزنى ، ان الطبيب يجب أن يضرب خمسين ضربة على باطن قدميه . وهذا فضل ، لأننا نعيش فى عصر فاسد . قبل هذا كان يكتفى بأن يقال : أطيحوا برأسه .

زوجة الحاكم : فلندخل الكنيسة . لعل هنا تيار هواء .

(ينحرف الموكب : الأسرة والخدم ، ناحية باب الكنيسة .. ويتبعه الأمير البـدين . يخرج الياور من الموكب ويشير الى الفارس)

الحاكم : ليس قبل القداس يا شلقا .

الياور : (موجها الكلام الى الفارس) ان الحاكم لا يريد ازعاجه قبل القداس بالتقارير [1] خصوصا كما

(١) م : التقارير العسكرية . اذهب الى المطبخ ...

أعتقد اذا كانت تقارير غير سارة . اذهب الى المطبخ ودعهم يطعمون يا فتى .

(يلحق اليـــاور بالموكب ، بينما يدخل الفارس فى القصر وهو يقسم • يخرج جندى من القصر ويقف عند البوابة)

المغنى : وعلا الصمت المدينة
وفى فناء الكنيسة يتبختر الحمام
وأحد حراس القصر يداعب فتاة طباخة
تصعد من النهر حاملة حزمة ثقيلة .

(خادمـــة تريد الدخول من البوابة ، وهى تحمل تحت ذراعها حزمة من الأوراق الخضر الكبيرة)

الجندى : اذن الآنسة ليست فى الكنيسة ، بل تتنزه بدلا من الذهاب الى القداس ؟

جروشا : كنت قد لبست ثيابى تماما ، ولكن كانت تنقص أوزة لمأدبة عيد الفصح ، فطلبوا منى بلطف أن أذهب لاحضار اوزة ، لأننى أفهم فى الاوز .

الجندى : اوزة ؟ (متظاهرا بالاسترابة) : أريد أن أراها هذه الاوزة . (جروشا لا تفهم ماذا يقصد) .

ان المرء يجب أن يكون حذرا مع النساء ، فهن يقلن : « ذهبت لاحضـــار اوزة » ، والواقع أنهن يقصدن شيئا آخر تماما .

جروشا : (تقبل عليه بجسارة وتريه الاوزة) هاهى ذى ! واذا كانت لا تزن خمسة عشر رطلا ولم تزقق بالذرة ، فأنا مستعدة لأكل ريشها .

الجندى : يالها من اوزة ! انها ملكة حقيقية ! بهذه سيقيم الحاكم نفسه مأدبته .. واذن فالآنسة كانت قد ذهبت الى شاطىء النهر ؟

جروشا : بالقرب من مزرعة الدواجن الكبيرة .

الجندى : آه ! صحيح ، مزرعة الدواجن الكبيرة ، هناك تحت — قرب النهر ؟ ألم يكن ذلك فى أعلى ، قرب الصفصاف المعروف ؟

جروشا : ناحية الصفصاف ؟ حينما أذهب الى هنـــاك فما ذلك الا لغسل الغسيل .

الجندى : (بمظهر من هو فاهم) آه ، هكذا !

جروشا : هكذا — ماذا ؟ !

الجندى : (بغمزة عين) هكذا تماما .

جروشا : لماذا لا يكون من حقى أن أغسل الغسيل بالقرب من الصفصاف ؟

الجندى : (بضحكة عالية جدا) « لماذا لا يكون من حقى أن أغسل الغسيل بالقرب من الصفصاف » ؟ انها طيبة ! انها ممتازة !

جروشا : أنا لا أفهم يا سيدى الجندى . أى شىء ممتاز فى هذا ؟

الجندى : (بخبث) لو عرفت واحدة ما يعرف واحد ، لأصابها مس حار ومس بارد .

جروشا : انى لا أرى ما يمكن معرفته فيما يتصل بموضوع هذا الصفصاف المشهور .

الجندى : واذا كان فى مواجته شجيرات ، شجيرات منها يستطيع الانسان أن يشاهد كل شىء ؟ وكل ما يحدث حينما يعرف أن الفتاة التى يعرفها « ذهبت لغسل الغسيل » ؟

جروشا : وماذا يمكن أن يحدث ؟ ألا يريد سيدى الجندى

أن يوضح ماذا يريد أن يقول ، ويخلصنا من هذا ؟

الجندى : يمكن أن تحدث أمور لها ما بعدها .

جروشا : ألا يريد السيد الجندى أن يقول انه فى يوم حار وضعت فى الماء طرف قدمى ؟ وفيما عدا هذا لا أرى شيئا .

الجندى : أكثر من هذا . طرف القدمين وأكثر .

جروشا : أى شىء آخر ؟ قدمى على أكثر تقدير .

الجندى : نعم القدم ، وأكثر قليلا .

(يضحك كثيرا)

جروشا : (متضايقة) يا سيمون شاشاقا ! يجب أن تخجل : تجلس فى الخميلة وتنتظر حتى تأتى امرأة فى يوم حار وتضع رجلها فى النهر ، وربما مع جنود آخرين !

(تجرى مسرعة)

الجندى : (وهويصيح وراءها) لا ، ليس مع جنود آخرين .

حينما يستأنف المغنى انشاده ، يقوم الجندى بالجرى وراء جروشا)

المغنى :

المدينة كلها صامتة ، فلِمَ الجنود المسلحون ؟
وفى قصر الحاكم يسود الهدوء ، فلماذا يكون
قلعة محصنة ؟

(من البوابة التى عن يسار يخرج الأمير البدين مندفعا . ثم يتوقف ليلقى نظرة حواليه . وأمام البوابة التى عن يمين ينتظر رجلان مسلحان . يراهما الأمير ويمر أمامهما ببطء ويوجه اليهما اشارة ويختفى بسرعة . يدخل أحدهما القصر ، ويظل الآخر مكانه للحراسة . وفى الكواليس تسمع صيحات مكتومة من عدة جوانب : «الزموا أماكنكم» . القصر محاصر . ومن بعيد تدق الأجراس . ومن البوابة يخرج الموكب وأسرة الحاكم عائدين من القداس .)

المغنى :

دخل الحاكم فى قصره
وكانت القلعة الحصينة أحبولة
والاوزة تنف ريشها وخمّرت
لكن الاوزة لم تؤكل أبدا
والظهر لم يكن ساعة المأدبة
بل كان الظهر ساعة الموت

زوجة الحاكم : (وهى تمر) غير ممكن العيش فى مثل هذا الكوخ ، لكن جورجى لا يبنى طبعا الا من أجل ولده الصغير ميخائيل ، لا من أجلى أنا أبدا . فلا شىء غير ميخائيل ، وكل شىء من أجل ميخائيل .

الحاكم : هل سمعت : « فِصحاً سعيدا » من أخى كازبكى ! هذا جميل ، لكن بحسب علمى لم تمطر السماء فى نوخا [1] الليلة الماضية . وحيث كان الأخ كازبكى ، أمطرت . فأين كان الأخ كازبكى ؟

الياور : لابد من بحث الأمر .

الحاكم : نعم ، فورا . غدا .

(الموكب ينحرف ناحية الباب الكبير . والفارس وقد عاد من القصر يتقدم ناحية الحاكم)

الياور : أو لا تريد يا صاحب المعالى أن تسمع من الفارس الموفد من العاصمة ؟ لقد وصل هذا الصباح ومعه أوراق سرية .

(١) م : هذه الليلة .

الحاكم : (دون أن يتوقف) ليس قبل الأكل يا شالقا .

(يختفى الموكب فى داخل القصر ، ولايبقى أمام الباب غير رجلين مسلحين وحرس الحاكم)

الياور : (موجها كلامه الى الفارس) ان الحاكم يرجو ألا يضايقه أحد قبل المأدبة بتقارير عسكرية ، وسيخصص سعادته بعد الظهر للتحدث مع مهندسين ممتازين مدعوين أيضا للمأدبة . وهاهم أولاء قادمون .

(يصل ثلاثة أشخاص ، فيحييهم الياور ، بينما ينسحب الفارس)

الياور : سادتى ، ان سعادته ينتظركم على المائدة . وكل وقته لكم ولمشروعاته الجديدة العظيمة . تعالوا بسرعة !

أحد المهندسين : اننا فى غاية الاعجاب ! فعلى الرغم من كل الشائعات المقلقة التى تقول ان الحملة على فارس قد انتابها الاخفاق فان سعادته لا يزال يفكر فى البناء .

الياور : بل لنقل : انه بسببها . انها لا شىء . ان فارس

بعيدة ! والحامية هنا ستقطع نفسها من أجل الحاكم . (ضجة فى القصر . صرخة حادة من امرأة ، وأوامر . والياور ، وقد تحجر ، يريد الذهاب ناحية الباب. يخرج رجل مسلح ويصوب رمحه نحوه) ماذا هناك ؟ ارفع رمحك يا وغد !

(خارج شعوره ، موجها الكلام الى الحرس) : انزعوا سلاحه ! ألا ترون أن هذا اعتداء على الحاكم ؟

(الرجال المسلحون لا يصغون اليه . انهم ينظرون ببرود وعدم اكتراث ، ويظلون كذلك غير مكترثين طوال المناظر التالية . الياور يقتحم باب القصر)

أحد المهندسين : الأمراء . فى العاصمة الليلة الماضية (1) انعقد اجتماع للأمراء الذين يعارضون الدوق الكبير وحكامه . سادتى ، الأفضل أن تتسرب .

(يندفعون خارجين)

المغنى :

ما أشد عمى العظماء! انهم يغدون كأنهم خالدون فوق الظهور التى تنحنى لهم ، واثقين من القبضات التى يدفعون لها ومن القوة التى

---

(١) م ٤

استمرت زمنا طويلا . ولكن الزمن الطويل
ليس الأبد .

أىْ تغير الزمن ، أنت أمل الشعب !

(من البوابة الكبيرة يخرج الحاكم مكبلا بالأغلال ، أغبر الوجه ، بين جنديين مدججين بالسلاح)

+ الى غير رجعة أيها السيد العظيم ! امش منتصب القامة !

من قصرك تشيّعك عيون الكثيرين من أعدائك !

لست فى حاجة بعد الى مهندسين ، بل يكفى نجار .

انك لن تذهب بعد الى قصر جديد ، بل الى حفرة صغيرة فى الأرض . — تأمل حواليك مرة أخرى ، أيها الأعمى !

(يتأمل المقبوض عليه حواليه)

هل يسرك ما كنت تملكه ؟ بين القداس الكبير ووجبة الطعام تغدو الى بلد لا رجعة منه أبدا +

(يجرونه . وحرس القصر ينضم اليهم . النفير ينفخ صيحة انتباه . ضجة خلف البوابة الكبيرة)

+ ... + : يحذف

حينما يتداعى قصر رجل عظيم
يتحطم كثير من الصغار
والذين لم يشاركوا فى سعادة القوىّ .

غالبا ما يشاركون فى شقائه . ان العربة التى تسقط تجر معها الخيول المتصببة عرقا الى أعماق الهاوية .

(من بوابة القصر الكبيرة يخرج الخدم فزعين مجانين)

الخدم : (فى صخب واضطراب السلال الكبيرة ! كل شىء فى الفناء الثالث ! مؤونة خمسة أيام . والسيدة ساءت حالتها . لابد من انزالها ، يجب أن ترحل . ونحن ؟ سيذبحوننا كالدجاج ، الكل يعرف ذلك . — ماذا سيحدث ، يا الهى ؟ الدماء بدأت تراق فى المدينة . — هذا غير معقول . كل ما فى الأمر أنه طلب من الحاكم بكل أدب أن يحضر اجتماع الأمراء ؛
سيسوى كل شىء بهدوء ، أنا أعلم ذلك من مصدر وثيق .

(يندفع الطبيبان فى الفناء)

الطبيب الأول : (محاولا جذب الآخر) يا نيقولا ميكادزى ، واجبك كطبيب أن تسعف ناتلا أباشڤيلى فى محنتها .

الطبيب الثانى : واجبى ؟ لا . واجبك أنت !

الطبيب الأول : من الذى يعنى الآن بالطفل ، أنت أو أنا ؟

الطبيب الثانى : أتظن حقا يا [1] ميخائيل لوكادزى أننى سأبقى بعد لحظة فى هذا البيت الموبوء ؟ (يمسك كل منهما بشعر الآخر . يسمع أحدهما يقول للآخر : « أنت تخل بواجبك . — الواجب ! الواجب ! » ثم يخنق الطبيب الثانى الطبيب الأول) : اذهب الى الجحيم !
(يذهب) [2]

الخدم : عنـــدنا وقت حتى المساء ، والى ذلك الوقت لن يكون الجنود سكارى . هل تمردوا ؟ لقد هرب الحراس على الخيول . ألا يدرى أحد ما حدث ؟ (*) .

(١) م : يا عزيزى ميخائيل
(٢) م + : الطباخة : لابد ان نرحل .
* ... * : يحذف [illegible]

جروشا : ان مليڤا الصـــياد يقول انه رؤى فى ســــماء العاصمة نجم مذنب له ذنب أحمر . وهذه علامة كوارث .

الخدم : يبدو أنهم عرفوا أمس فى العاصمة أن حرب فارس انتهت بالهزيمة فقام الأمراء بثورة عنيفة . ويقال ان الدوق الكبير قد هرب . وسيشنق كل الحكام . أما الناس الصغار فلن يصيبهم شىء ان لى أخا بين رجال الجيش .

(يدخل الجندى سيمون شاشاڤا ، باحثا عن جروشا فى هذا الخليط)

الياور : (يظهر عند البوابة الكبيرة) الجميع يذهبون الى الفناء الثالث ! الى الأمتعة جميعا !

(يدفع الخدم ، وأخيرا يجد ســـيمون ـ جروشا .)

سيمون : أنت هاهنا يا جروشا ؟ ماذا ستفعلين ؟

جروشا : لا شىء . عند الحاجة ، لى أخ يستأجر أرضا فى الجبل . وأنت ، ما هو مصيرك ؟

سيمون : لن أصير شيئا أبدا (مستعيدا اللهجة الرسمية) : ياجروشا فاشنادزه ، لكن سؤالك عن مشروعاتى

يملؤنى بالبهجة . عندى أمر بأن أرافق ناتلا أبشقيلى بصفة حارس .

جروشا : لكن ، ألم يتمرد الحرس ؟

سيمون : (بلهجة جادة) نعم .

جروشا : أليس من الخطر أن ترافقها ؟

سيمون : فى تفليس مثل يقول : « ان النغزة الشديدة لا تؤذى السكين أبدا » .

جروشا : لكنك لست سكينا ، أنت انسان ، يا سيمون شاشاقا . ما شأنك بهذه السيدة ؟

سيمون : لا شأن لى بهذه السيدة . ولكن لدى أوامر ، ولهذا أركب .

جروشا : سيادة الجندى قاسى الرأس . انه يتعرض للخطر دون داع ، دون أدنى داع [1] (تسمع من يناديها من داخل القصر : « يا جروشا ! ») [2] : يجب أن أذهب الى الفناء الثالث ، انى فى عجلة .

سيمون : ما دام لابد من الاسراع ، فلا داعى للتشاجر : فكلانا فى حاجة الى وقت يكفى للتشاجر كما

(١) م + : الطباخة : لابد أن نرحل .

(٢) « ياجروشا ! » أضافها م .

يجب . هل يمكن أن أسأل هل لا يزل للآنسة آقارب ؟

جروشا : كلا ، لا قريب غير آخى .

سيمون : ولما كان الوقت ضيقا ، فالسؤال الثانى هو : هل الآنسة سليمة مثل التفاحة على الشجرة ؟

جروشا : يمكن أن ينتابنى بعض التصلب فى الكتف الأيمن بين الحين والحين ، وفيما عدا ذلك فأنا مستعدة للقيام بأى عمل : ولم يكن لأحد ما يشكوه منى .

سيمون : هذا معلوم جيدا . فحينما يتطلب الأمر ارسال أحد لاحضار اوزة فى يوم أحد الفصح ، فأنت التى تذهبين . السؤال رقم ٣ : هل الآنسة تميل الى عدم الصبر ؟ وهل تشتهى الكرز فى الشتاء ؟

جروشا : لا أقول اننى قليلة الصبر ؛ ولكن حينما يذهب الناس الى الحرب بغير سبب ، ولا تأتينا أخبارهم ، فان هذا أمر لا أحبه .

سيمون : أخبار ، سيكون هناك أخبار . (يسمع من

الداخل من ينادى جروشا مرة أخرى) [١] .
وختاما ، فان السؤال الخطير ..

جروشا : يا سيمون شاشاقا ، ما دمت لابد لى أن أذهب الى الفناء الثالث وانى فى عجلة ، فالجواب مقدما هو : نعم .

سيمون : (فى اضطراب شديد) : هناك مثل يقول : « العجلة الشديدة اسم الريح التى تهدم البناء » (*) ، ولكن هناك مثلاً آخر يقول : « الأغنياء لا يكونون أبدا فى عجلة » (*) . أنا من ..

جروشا : كوتسك .

سيمون : آه ، الآنسة جمعت عنى معلومات ؟ صحتى جيدة ، لا أعول أحدا ، وأتقاضى عشرة قروش فى الشهر ، وعشرين حينما أصبح رقيبا كاتبا . وانى بكل قلبى أطلب يدك .

جروشا : يا سيمون شاشاقا ، أنا موافقة .

سيمون : (ينتزع من رقبته سلسلة معلق فيها صليب

(١) م + : جروشا !
* ... * : تحذف .

صغير) ان الصليب من أمى ، يا جروشا قاشنادزه ، والسلسلة من الفضة ، اذا شئت أن تلبسيها ..

جروشا : شكرا جزيلا ، يا سيمون .

(يضع السلسلة فى عنقها)

سيمون : ينبغى أن أذهب لوضع الخيول فى العربة ، الآنسة تفهم . ومن الأفضل أن تذهب الآنسة الى الفناء الثالث ، والا أحدث هذا حكايات .

جروشا : نعم يا سيمون .

(يبقيان فى مكانهما ، ولا يدريان ماذا يفعلان)

سيمون : أنا ذاهب لمرافقة هذه السيدة حتى القوات التى ظلت مخلصة . وحينما تنتهى الحرب ، سأعود . والأمر سيتطلب ثلاثة أسابيع أو أربعة . وأرجو من خطيبتى ألا تشعر بأن الوقت استطال قبل عودتى .

جروشا :

سيمون انى فى انتظارك
فاذهب وشارك فى المعارك

فى الحرب دامية مريرة
ولقلَّ من ينجو سليما من لظاها
وهنا ترانى لو تعود
أرعى رجوعك تحت دردار نضير
أرعى رجوعك تحت دردار جريد
حتى يعود من الوغى باقى الجنود
بل بعد هذا !
لما تعود من القتال
لن تلق عند الباب أحذية هناك
والى جوار وسادتى سترى الوسادة خالية
وترى شفاهى لم يقبلها أحد
لما تعود من القتال
ستقول : كلٌّ ظل مثل الأول (*)

---

* الترجمة الحرفية :
يا سيمون شاشاڤا ! أنا فى انتظارك
اذهب الى المعركة ان شئت أيها الجندى
الى المعركة الدامية ، المعركة الوحشية
التى لايرجع منها الكثيرون
وحين تعود ، ستجدنى هناك
سأنتظرك تحت شجرة الدردار الخضراء

سيمون : اشكرك يا جروشا فاشنادزه . والى اللقاء .

(يحييها تحية عميقة ، وهى تنحنى له انحناءة عميقة ، ثم تغدو مسرعـــة دون أن تلتفت وراءها · يظهر الياور عند البوابة الكبيرة)

الياور : (بخشونة) ضع الخيول فى العربة الكبيرة ، لا تقف هناك هكذا أيها الوغد !

(سيمون يقوم بحركة انتباه ويذهب · ومن البوابة الكبيرة يخرج خادمان ، منحنيـــان تماما تحت صناديق ضخمة · ومن خلفهما أتت ناتلا أبشفيلى مع وصيفاتها ، ووراءها امرأة تحمل الطفل)

زوجة الحاكم : لا أحد يهتم بشىء . لا أدرى أين رأسى · أين ميخائيل ? لا تحمليه هكذا فى وضع غير ملائم .

سأنتظرك تحت شجرة الدردار المتجردة
حتى يعود الجندى الأخير سأنتظرك
وأكثر
حينما تعود من المعركة
لن يكون الحذاء عند الباب
والمخدة التى الى جانب مخدتى ستكون خالية
ولن يكون أحد قد قبلنى على شفتى ·
حينما تعود ، حينما تعود
تستطيع ان تقول : كل شىء كما كان ·

ضعوا الصناديق فى العربات ! هل هناك أخبار عن الحاكم ، يا شلقا ؟

الياور : (هازا رأسه) يجب أن نرحل فورا .

زوجة الحاكم : والمدينة ؟ هل يعرف أحد عنها شيئا ؟

الياور : كلا . فى الوقت الحالى كل شىء هادىء ، لكن يجب ألا نضيع لحظة . ليس فى العربة مكان للصناديق . اختارى ما تحتاجين اليه .

(يخرج بخطوة سريعة)

زوجة الحاكم : ما هو ضرورى فقط ! اسرعوا وافتحوا الصناديق وسأقول لكم ما يجب أخذه . (تنزل الصناديق وتفتح . زوجة الحاكم وهى ترى أثوابا عديدة من البروكار) : [1] الأخضر ، وطبعا الثوب ذو الفرو الصغير ! أين الطبيبان ؟ هذا الصداع المخيف مرة أخرى ، انه يبدأ من الصدغ . ثم الثوب ذو الزراير الصغيرة من اللؤلؤ .. (تدخل جروشا) . آه ، أنت تتسكعين ! اذهبى بسرعة واحضرى القرب المغلية . (تعدو جروشا ، ثم

---

(١) م : هذا ، هذا الأخضر هناك .

ترجع بعد مدة ومعها القرب المغلية . زوجة الحاكم تصدر اليها أوامر مختلفة بحركات من يدها . تلاحظ وصيفة شابة) : لا تمزقى الكم .

الوصيفة : أؤكد لك ياسيدتى أنه لم يحصل شىء للثوب .

زوجة الحاكم : لأننى انتبهت ونبهتك . منذ مدة وأنا أراقبك . لا شىء فى رأسك غير مغازلة الياور . سأقتلك يا فاجرة !

(تضربها)

الياور : (وقد عاد) أرجوك أسرعى ، ياناتلا أبشفيلى . لقد قامت المعارك فى المدينة .

(يمضى)

زوجة الحاكم : (تاركة الوصيفة) يا الهى ! يا الهى ! هل تعتقدون انهم سيعتدون علىّ ؟ لأى سبب ؟ (الكل يسكت . تبدأ هى بالتفتيش فى الصناديق) . اذهبى لاحضار الصدرية من البروكار . ساعديها ! ماذا يفعل ميخائيل ؟ هل ينام ؟

المربية : نعم ، يا سيدتى .

زوجة الحاكم: اذن ضعيه لحظة واذهبى لاحضار أحذيتى الماروكان فى غرفة النوم ، أنا فى حاجة اليها مع فستانى الأخضر . (المربية تضع الطفل وتخرج . توجه الكلام الى الوصيفة) : وأنت ، لا تقفى دون عمل ! (تهرب الوصيفة) . امكثى والا أمرتهم بجلدك ! (صمت) . كل هذا قد وضع فى الصناديق بغير حماسة ولا ذوق . [١] لابد أن يريهم المرء بنفسه .. فى مثل هذه اللحظات يتبين الانسان كيف يخدم .. ماشا ! (وتشير بيدها) أن تبتلع — هذا أمر تحسنه ، أما الشكر — فلا . سأذكر ذلك .

الياور: (بعصبية شديدة) ناتلا ، تعالى حالا . ان [١] أوربليانى قاضى المحكمة العليا قد شنقه ثوار مصنع السجاد .

زوجة الحاكم: لماذا ؟ والفستان الذى من الجوخ الفضى اللون أنا حريصة عليه ، فقد كلف ألف قرش . وهذا

---

(١) م : ان رجلنا أوربليانى ...

الفستان أيضا ، وكل الفرو ، وأين الفستان النبيذى ؟

الياور: (محاولا جرها) قامت الاضطرابات فى الضواحى [١] . ويجب أن نرحل فورا (يهرب خادم) . أين الطفل ؟

زوجة الحاكم: (تنادى المربية) مارو ! أسرعى وجهزى الطفل . أين اختفيت ؟

الياور (*) : (ذاهبا) يجب أن تتخلى عن العربة ونمضى على فرس .

(زوجة الحاكم تفتش فى الملابس ، وتلقى نظرة على كومة الملابس التى تريد أن تأخذها، ثم تمسك به . تسمع ضجة ، وضربات طبل. وتصبح السماء حمراء)

زوجة الحاكم: (وهى تفتش بعنف ويأس) انى [٢] لا أجد الفستان النبيذى . (موجهة الكلام الى الوصيفة الثانية ، وهى ترفع كتفيها) : خذى الحزمة

---

(١) م : بين عمال نسيج السجاد .

(٢) م : الا تستطعين أن تأتى بالفستان ...

كلها وضعيها فى العربة . (*) ولماذا لم تعد مارو ؟ هــل أصبحتن جميعا مجنونات ؟ لقد قلت ان الفستان فى القاع .

الياور : (عائدا) بسرعة ، بسرعة .

زوجة الحاكم : (موجهة الكلام الى الوصيفة الثانية) أسرعى ! ما عليك الا أن تلقى بكل شىء فى العربة (*) .

الياور لن نأخذ العربة . تعالى ، والا مضيت وحــدى على الفرس .

زوجة الحاكم : (١) مارو ! هات الطفل ! (مخاطبة الوصــيفة الثانية) : ابحثى يا ماشا ! لا ، احملى أولا الملابس الى العربة . هذا غير معقول . لا لن أركب الفرس ! (تلتفت وراءها فترى حمرة الحرائق ، فتصاب بذهول) . النار !

(تهرب ، ويندفع الياور وراءها ، وتتبعهــا الوصيفة الثانية هازة رأسها ، وهى تحمل حزمة الملابس . ويصل الخدم من البوابــة الكبيرة)

---

(١) م + النبيذى ! مارو !

(* ... *) : تحذف .

الطباخة : أظن أن الباب الشرقى هو الذى يحترق .

الطباخ : لقد رحلوا ! من غير عربة المؤونة . ونحن ماذا نفعل للرحيل ؟

سايس : نعم . ان الهواء فاسد هنا وسيستمر كذلك زمنا . (مخاطبا الوصيفة الثالثة) : زليخا ، سآخذ بعض الأغطية ثم نهرب .

المربية : (وقد أتت ومعها بعض الأحذية) سيدتى !

امرأة بدينة : لقد رحلت .

المربية : والطفل ؟ (تعدو الى الطفل وترفعه) لقد تركوه وراءهم هؤلاء المتوحشون (١) . (تقدمه الى جروشا) احمليه عنى لحظة . (وهى تكذب) : سأمضى لأرى أين العربة .

(تهرب خلف زوجة الحاكم)

جروشا : وماذا فعلوا بالسيد الحاكم ؟

سايس : (راسما حركة قطع الرقبة) ك .. يك !

المرأة البدينة : (وقد انتابتها أزمة عصبية حينما رأت حركة السايس) يا الهى ! رئيسنا جورجى أبشقيلى !

---

(١) م + : المتوحشون ، ميخائيل ، الذى كانوا يخافون عليه تيار الهواء ! جروشا (تقدمه ...)

كان ناضرا متوردا فى ساعة القداس ، والآن ..
خذونى ! لقد ضعنا كلنا ، سنموت فى الخطيئة ، مثل رئيسنا ، مثل جورجى أبشقيلى .

الوصيفة الثالثة : (تهدئها) (*) اهدأى ، يا نينا . سنأخذك ، انك لم تؤذى أحدا (*) .

امرأة بدينة : (وهم يأخذونها) يسوع ، ماريه ، يوسف ! أسرعوا ، أسرعوا ، خذوا كل شىء قبل أن يصلوا ! (١)

الوصيفة الثالثة : ان نينا تأخذ الأمر باهتمام أكثر من السيدة (زوجة الحاكم) . وحتى البكاء ، هذا عمل يكلفون به الغير . (تلاحظ الطفل الذى تحمله جروشا دائما) الطفل ! ماذا تفعل اذن يا عزيزى ؟

جروشا : (*) لقد بقى هنا .

الوصيفة الثالثة : لقد تركته هنا ؟ ابنها ميخائيل الذى كانت تخشى عليه دائما من تيارات الهواء .. ! (*)

(يتجمع الخدم حول الطفل) .

جروشا : انه يستيقظ .

---

* ... * : تحذف .

(١) م + : خادم : سأحزم غطائين ، انتظروا هنا .

السايس(١) : الأحسن أن تدعيه هنا ! انى أفضل ألا أفكر فيما عسى أن يقع لمن يجدونها مع الطفل(٢) . أنا ذاهب لاحضار أمتعتنا ، وأنت انتظرينى هنا (٣) .

(يدخل فى القصر)

الطباخة : هو على حق . ان هؤلاء حينما يبدأون ، يذبح بعضهم بعضا أسرا بأكملها . سأغدو لأخذ أمتعتى (*) .

(يذهب الجميع ، ولا يبقى غير امرأتين وجروشا مع الطفل على ذراعها)

المرأة الثالثة : ألم تسمعى ، دعيه هنا ! (*)

جروشا : لقد أعطتنيه المربية لأحمله لحظة .

الطباخة : انها لن تعود ، يا مغفلة .

الوصيفة الثالثة : لا تمسيه ، فهذا يحرق .

الطباخة * : انهم سيطاردونه أشد من مطاردتهم لأمه ، لأنه هو الوريث .

---

(١) م تعدل هكذا : الأحسن أن تدعيه هنا . ان الذى سيجدون معها الطفل ! انه الوريث .

(٢) م + : (تشير اشارة قطع الرأس)

(٣) أنا .... هنا : تحذف فى م . ويضاف : انه الوريث .

* ... * : تحذف .

جروشا : ان قلبك شجاع ، ونفسك طيبة ، ولكنك لا تفهمين . أنا أقول لك ان الأمر سيكون خطيرا جدا . فحاولى أن تنقذى نفسك أولا (*) .

(عاد السائس ومعه حزم وزعها بين النسوة . والجميع ، ما عدا جروشا ، يتأهبون للرحيل)

جروشا : (بعناء) انه لن يصيبه شىء . حينما ينظر اليك ، يبدو أنه كائن بشرى .

الطباخة : اذن لا تنظرى اليه أنت . أنت المغفلة التى يحمّلها النـاس كل شىء . حينما يقول لك انسان : « اسرعى هات السلطة ! » فأنت ذات أقدام طويلة ، تسرعين وتذهبين . سنأخذ العربة التى تجرها الثيران ، ففى وسعك أن تأتى معنا اذا أسرعت . يا الهى ، لابد أن الحى كله يحترق الآن .

الوصيفة الثالثة : ألم تحزمى شيئا ؟ (*) قولى ، ليس هناك وقت قبل أن يأتى الرجال المسلحون من الثكنة (١) .

(يذهب السائس والمرأتان)

جروشا : أنا قادمة اليكم .

---

* ... * : تحذف .

(١) م + : تعالى معنا .

(تضع الطفل على الأرض ، وتنظر اليه بضع لحظات ، وتأخذ من الصناديق الملقاة ها هنا وها هناك بعض الملابس وتغطى بها الطفل الذى يمضى فى نعاسه . ثم تدخل القصر لاحضار متاعها . تسمع أصوات خيول وصراخ نسوة . يدخل الأمـــير البدين مع جنود سكارى . يحمل أحدهم على سن رمحه رأس الحاكم .)

الأمير البدين : هاهنا ، فى الوسط . (يصعد أحد الجنود على ظهر جندى آخر ، ويأخذ رأس الحاكم ، ويضعه على البوابة الكبيرة ويتحقق من الأثر النـاتج من هذا الواضع) . انه ليس فى الوسط ! حركه الى اليمين قليلا ! حسنا ! يا أصدقائى ، انى حين أريد أن أعمل شيئا فانى أتقنه . (بينما أحد الجنود يعلق الرأس من الشعر بمسمار ومطرقة) : فى هذا الصباح عند باب الكنيسة ، قلت لجورجى أبشفيلى : « انى أحب السـماء الخالية من الغيوم » . لكن ما أحبه خصوصا هو البرق الساقط من سماء بغير غيوم . نعم ! خسارة أنهم أخذوا الطفل (١) ، ولابد لى منه بأى ثمن .

---

(١) م : ابن الحاكم .

ابحثوا عنه فى كل جورجيا ، والمكافأة ألف
قرش .

(بينما جروشا تدخل من البوابة الكبيرة وهى تتلفت ذات اليمين وذات اليسار بحذر، يخرج الأمير البدين مع الرجال المسلحين . يسمع من جديد صوت أقدام الخيول . جروشا تحمل حزمة وتذهب ناحية البوابة. ولما كانت قريبة ، فانها تتلفت لترى هل الطفل لايزال هناك — يبتدىء المغنى فى الغناء. تبقى مكانها بغير حراك)

المغنى :

ولما كانت واقفة هناك بين البابين ، سمعت
أو خيّل اليها أنها سمعت نداء بصوت خفيض .
ناداها الطفل ، لا عن غير وعى ، بل بذكاء
أو هكذا بدا لها . قال لها : « أيتها المرأة ،
ساعدينى »
وقال أيضا وهو لا يهذى ، بل عن ذكاء :
« اعلمى يا امرأة أن من يتجاهل نداء استغاثة
ويمضى بأذن صماء ،
« فانه لن يسمع أبدا همس العاشق وهو يدعوه
« ولا صوت القطا فى الصباح الباكر ، ولا زفرة

السعادة من الكرّامين المنهكين حينما يدق
ناقوس الأصيل » .
لقد سمعت .

(جروشا تخطو خطوات ناحية الطفل وتنحنى عليه)

وعادت لتنظر
الى الطفل للمرة الأخيرة . بضع لحظات فحسب .
البقاء معه ، والانتظار حتى تأتى واحدة أخرى :
الأم مثلا ، أو أى شخص كائنا من كان —

(تجلس فى مواجهة الطفل ، مستندة الى الصندوق .)

قبل أن أذهب : ان الخطر داهم والمدينة كلها
مليئة باللهيب والعويل

(يتضاءل النور وكأن الليل قد أقبل ، ثم يأتى الظلام . تدخل جروشا القصر وتحضر مصباحا ولبنا وتسقى الطفل .)

المغنى : (بصوت مرتفع جدا) :
ان الاغراء على الخير رهيب .

(جروشا جالسة الآن ، انها تسهر الليل كله بالقرب من الطفل . وفى لحظة تشعل مصباحا صغيرا للاضاءة ، مرة أخرى ، وهى تغطى الطفل بمعطف من البروكار . وأحيانا تصغى وتتلفت حولها لتنظر هل أحد قادم)

بقيت طويلا جالسة بالقرب من الطفل
فى المساء وطوال الليل
وعند الفجر . لقد بقيت هكذا وقتا طويلا جدا
وظلت تنظر وقتا طويلا جدا —
الى تنفسه الهادىء ، ويديه الصغيرتين
وحينما أقبل الصبح كان الاغراء أشد قوة .
هنالك نهضت وانحنت وبزفرة أخذت الطفل
ومضت به .

(تفعل ما يقوله المغنى ، وتقوم بالحركات التى يصفها)

لقد حملته كأنه غنيمة
واختفت به كأنها سارقة

– ٢ –

الفرار إلى جبال الشمال

المغني :

خرجت جروشا من المدينة
سلكت طريق جيورجيا
ومضت تيمِّم صوب أجبال الشمال
تشدو وتبتاع الحليب

العازفون :

كيف السبيل الى الفرار وخلفها تعدو الكلاب
يتعقبون وينصبون لها الشراك ؟
ومضت جروشا للجبال الخاليات من البشر
سلكت طريق جيورجيا
تشدو وتبتاع الحليب

(سارت جروشا ، وهى تحمل الطفل على ظهرها فى زكيبة ، وفى احدى يديها حزمة ، وفى الأخرى عصا كبيرة)

جروشا : (تغنّى) :

أربعة قواد
يسموا ايران
أول القواد
لم يقم بالحرب
وآخر القواد
لم يفز بالنصر
لثالث القواد
لم يوات الجو
ورابع القواد
فر عنه الجند
أربعة قواد
لم يعودوا قط
وسوسو روباكدز
نزا على ايران
وخاض نار الحرب
وراح يجنى النصر
الهوا واتاه
وجنده وافاه

وسوسو روباكدز
لِيعنم هذا الفحل !

(يظهر كوخ فلاحين)

جروشا : (مخاطبة الطفل) عند الظهيرة النـاس جميعا يأكلون . أما نحن فسنبقى عـلـى العشب جالسين [١] . تنتظر بروية أن تنتزع جروشـا الشجاعة قدحا من اللبن منهم . (تجلس الطفل على الأرض وتقرع باب الكوخ ؛ فلاح عجوز يفتح الباب) . هل أستطيع الحصول على قدح من اللبن وربما أيضا فطيرة ذرة ؟

العجوز : لبن ؟ ليس عندنا لبن . ان الجنود الذين جاءوا من المدينة قد أخذوا ما لدينا . اذهبى الى الجنود ، ان كنت تريدين الحصول على لبن .

جروشا : لكن : قدح من اللبن لطفل ، لابد عنـدك يا جدى ؟

العجوز : وبعد ذلك تقولين : « الله يعوض عليك » — أليس كذلك ؟

جروشا : من قال هذا ؟ (تخرج كيس نقودها) . اننا

(١) م : جالسين يا ميخائيل .

نحن ندفع مثل الأمراء ، رأسنا فى السماء ، والخلف فى الماء ! (الفلاح يمضى لاحضار اللبن وهو يدمدم) . وما سعر هذا القدح ؟

العجوز : ثلاثة قروش . لقد غلا ثمن اللبن .

جروشا : ثلاثة قروش ؟ ثمن قدح ؟ (الفلاح يغلق فى وجهها الباب بشدة ، دون أن يقول شيئا) أتسمع هذا يا ميخائيل ؟ ثلاثة قروش ! هذا ليس فى طاقتنا . (تعود الى الوراء وتجلس وتعطى حلمة ثديها للطفل) لا مفر من أن نجرب هذا . اسحب جيدا ، وفكر فى الثلاثة قروش . ليس فيه شىء ، لكن يخيل اليك أنك تشرب ، وهذا أحسن من لا شىء . (تهز رأسها حينما ترى الطفل لا يرضع بعد . تنهض وتغدو الى باب الكوخ وتقرع من جديد) : افتح أيها الجد ، سندفع . (بصوت خفيض) : لو كنت تفطس ! (وحينما يفتح العجوز الباب مرة أخرى تقول) : كنت أعتقد أنه يساوى نصف قرش ، لكن لابد للطفل من لبن . فماذا لو قلنا : قرش ؟

العجوز : قرشان .

جروشا : لا تغلق الباب . (تفتش طويلا فى كيس نقودها) هاهما قرشان . ولكن يجب أن يكون اللبن كافيا لأن أمامنا طريقا طويلا نقطعه . انه لخطيئة حقا ذبح الناس هكذا .

العجوز : أختنق الجنود اذا شئت الحصول على لبن .

جروشا : (وهى تعطى الطفل اللبن) هذه لذة تكلف كثيرا . اشرب يا ميخائيل ، لابد لى من العمل ثلاثة أيام لكى أكسب هذا المبلغ . ان الناس هنا يظنون أننا كسبنا نقودنا [1] من الهواء . ميخائيل ، ميخائيل ، حينما أخذتك ، أخذت عبئا ثقيلا . (وهى تنظر الى معطف البروكار الملفوف به الطفل) : معطف من البروكار يساوى ألف قرش ، وليس معى قرش لشراء لبن . (تتلفت خلفها) أوه ما هذا ! هذه عربة فيها لاجئون أغنياء ، يجب أن نحاول الصعود عليها .

(امام الخان . ترى جوشا مغطاة بمعطف البروكار ، تتقدم نحو سيدتين محترمتين . وتحمل الطفل على ذراعيها)

(١) م : فى المنام .

جروشا : آه ، لابد أن السيدات يردن أيضا أن يقضين الليل فى هذا البيت ؟ هذا مخيف ، كل مكان مزدحم ، ومن المستحيل الحصول على عربة . وسائقى قد دار نصف دورة ، واضطررت الى المشى نصف فرسخ على قدمى ، حافية . وأحذيتى الفارسية .. أتتن تعرفن ما هى الكعوب العالية . لكن ألا يأتى أحد ؟

كبرى السيدتين : ان صاحب الخان يدعنا ننتظره . منذ هذه الأحداث الرهيبة التى وقعت فى العاصمة ، لم يعد ثمة آداب فى أى مكان .

(يخرج صاحب الخان وهو رجل عجوز ذو وقار كبير وله لحية طويلة ، ومن ورائه الخادم)

صاحب الخان : سيداتى ، اعذرن الرجل العجوز اذا كان قد تركتكن تنتظرن . فان حفيدى كان يرينى شجرة خوخ مزهرة هناك على السفح ، فى الجانب الآخر من حقول الذرة . اننا نغرس هناك أشجار فاكهة ، وشجرتين من الكرز أو ثلاثا . وناحية الغرب (يشير بيده الى هذا الاتجاه)

الأرض حصباء ، والفلاحون يتركون أغنامهم ترعى . يجب عليكن أن ترين أشجار الخوخ مزهرة ، فاللون الوردى لا نظير له .

كبرى السيدتين : انكم فى منطقة خصبة .

صاحب الخان : بارك الله فيها . وفى الجنوب كيف تزهر الأشجار يا سيداتى ؟ أتتن قادمات من الجنوب قطعا ؟

صغرى السيدتين : يجب أن أعترف أننى لم أنظر الناحية باهتمام كبير .

صاحب الخان : (بأدب) أنا فاهم ، التراب . على هذا الطريق العسكرى ينبغى أن تكون السرعة معتدلة ، الا اذا كان المرء فى حاجة الى السرعة .

كبرى السيدتين : ضعى شالك حول عنقك ، يا عزيزتى ، اذ يقال ان ريح المساء باردة نوعا فى هذا الاقليم .

صاحب الخان : انها تهب علينا يا سيداتى من حقول الثلوج فى نيجاتاو .

جروشا : نعم ، وأنا خائفة على ابنى ، من البرد .

كبرى السيدتين : هذا خان ضخم ! هل يمكن أن ندخل ؟

صاحب الخان : هل تريد السيدات غرفا ؟ ان الخان مزدحم

يا سيداتى مع الأسف ، والخدم هربوا . وأنا
يائس ، ولا أستطيع قبول أحد بعد حتى لو كان
معه توصية ..

صغرى السيدتين : ولكننا لا نستطيع أن نبيت هاهنا على الطريق .

كبرى السيدتين : (بجفاف) كم يتكلف ثمن المبيت ؟

صاحب الخان : سيداتى ، أنتن تعرفن أنه فى مثل هذه الأوقات ومع كل هؤلاء اللاجئين — وهم أناس لا شك أنهم محترمون ولكن السلطات تنظر اليهم نظرة سيئة ، وهم يبحثون عن مخابىء يأوون اليها — فان الخان محتاج الى بعض الاحتياطات . ولهذا ..

كبرى السيدتين : يا عزيزى ، نحن لسنا لاجئات ، بل نحن ذاهبات الى مصيفنا فى الجبال ، هذا كل ما فى الأمر . وما كان يخطر ببالنا أن نلجأ الى الضيافة لولم نكن فى حاجة شديدة الى ذلك .

صاحب الخان : (بهزة رأس علامة الموافقة) كلا ، طبعا . كل ما فى الأمر أننى لست متأكدا أن الغرفة الوحيدة الخالية يمكن أن تناسب حضرات

السيدات ، وعلىّ أن أتقاضى ستين قرشا عن الشخص الواحد . هل السيدات مع بعضهن بعضا ؟

جروشا : بمعنى ما . أنا أيضا فى حاجة الى المبيت .

صغرى السيدتين : ستون قرشا ! انك تذبح الناس .

صاحب الخان : (ببرود) سيداتى ، اننى لا أرغب فى ذبح أحد ، ولهذا ..

(يتهيا للمشى)

كبرى السيدتين : هل نحن بحاجة الى التكلم عن الذبح ! هيا ، تعال !

(تدخل ، يتبعها الخادم)

صغرى السيدتين : (بلهجة اليائسة) مائة وثمانون قرشا لغرفة واحدة ! (تلتفت وتتطلع الى جروشا) : لكن هذا مستحيل مع الطفل ؛ فلو صرخ ؟ !

صاحب الخان : ان الغرفة تساوى مائة وثمانين قرشا ، سواء أكانت لشخص أو ثلاثة أشخاص .

صغرى السيدتين : (وهى تغير لهجتها ، مخاطبة جروشا) ومن ناحية آخرى فانه من المستحيل علىّ أن أعرفك من

فضلك .

(يدخلن الخان • ومن الناحية الأخرى من المسرح يظهر الخادم حاملا بعض الأمتعة . ومن ورائه كبرى السيدتين ثم الصغرى ثم جروشا حاملة الطفل)

صغرى السيدتين : مائة وثمانون قرشــا ! لم اضطرب كل هــذا الاضطراب منــذ أن أتوا بعزيزنا ايجور الى البيت .

كبرى السيدتين : هل أنت فى حاجة الى الكلام عن ايجور ؟

صغرى السيدتين : الواقع أننا أربع ، فالطفل هو الآخــر يحسب شخصا ، أليس كذلك ؟ (مخاطبة جروشا) : ألا تستطيعين عــلى الأقل أن تتحملى نصف الأجرة ؟

جروشا : من المستحيل . لقد اضطررت الى الرحيل بكل سرعة ، والياور نسى أن يضع مبلغا كافيا من المال فى كيس نقودى .

كبرى السيدتين : وليس معك حتى الستين قرشا ؟

جروشا : أما الستون فسأدفعها .

الخادم : أسرّة ، لا توجد أسرّة . لديكن أغطية وحصائر . وعليكن أن ترتبن هــذا بأنفسكن . واعتبرن أنفسكن سعيدات لأنكن لم توضعن فى المقابر العامة كما حدث لكثيرين غيركن .

(يخرج)

صغرى السيدتين : هل سمعت ؟ سأغدو لصاحب الخان وأشكوه . لابد من جلد هذا الشخص حتى يُدمى .

كبرى السيدتين : مثل زوجك ؟

صغرى السيدتين : كم كنت قاسية متوحشة !

(تبكى)

كبرى السيدتين : كيف نهيىء شيئا يشبه السرير ؟

جروشا : هذا شأنى . (تضع الطفل) لما يكثر العدد يسهل العمل . هل لا تزال عربتكما معكما ؟ (وهى تكنس الأرض) : لقد أخذت على غرة تماما . « يا عزيزتى انسطاسيا كترينوفسكا ! — هكذا قال لى زوجى قبل الغداء — اذهبى ونامى قليلا ، فأنت تعلمين أنك تصابين بالصداع بسهولة » .

(تحضر الحصائر وهى تجرها ، وترتبها للنوم .
ولما شاهدت السيدتان ما تفعل جروشا نظرت كل منهما الى الأخرى) . « جورجى ، هكذا قلت للحاكم ،اننى لا أستطيع أن أنام اذا كان عندنا ستون ضيفا ، وأنت تعلم جيدا أن المرء لا يستطيع أن يعتمد على الخدم ، وميخائيل جورجفتش لا يأكل شيئا اذا لم أكن أنا موجودة»
(مخاطبة ميخائيل) : انظر ! ميخائيل لقد قلت لك ان كل شىء سينتهى على خير ما يرام .
(تفطن الى أن السيدتين تنظران اليها باستغراب وتتهامسان) . حسنا ، هكذا على الأقل لا ينام المرء على الأرض العارية . لقد وضعت الأغطية مزدوجة .

كبرى السيدتين : (بلهجة الآمر) انك ماهرة يا عزيزتى فى تسوية الأسرة . أرينى يديك .

جروشا : (مذعورة) ماذا تقصدين ؟

صغرى السيدتين : نقول لك : أرى يديك .

(جروشا ترى يديها)

صغرى السيدتين : (بلهجة المنتصرة) كلها متشققة ! خادمة !

كبرى السيدتين : (ذاهبة الى الباب ومنادية) يا ، يا !

صغرى السيدتين : وقعت يا نصابة ! اعترفى ماذا كنت تدبرين .

جروشا : (مضطربة) لم أكن أدبر شيئا أبدا . ظننت أنكما ستأخذانا فى العربة معكم ، مسافة من الطريق . أرجوكما ! لا تحدثا ضجة ، سأمضى لسبيلى وحدى .

صغرى السيدتين : (بينما الكبرى تستمر فى النداء) نعم ستمضين ، ولكن مع الشرطة . وحتى يتم ذلك ، ابقى هنا ، ولا تتحركى !

جروشا : لكنى عزمت أيضا على دفع الستين قرشا ، وهاهى ذى ! (ترى كيس نقودها) أنت ترين أنى أملك ستين قرشا : هذه أربع قطع من ذوات العشرة قروش ، وقطعة من ذوات الخمسة ، لا ، بل هذه قطعة أخرى من ذوات العشرة ، وهذا مجموعه ستون . والواقع أننى لا أريد غير مكان فى العربة للطفل .

صغرى السيدتين : آه ، حسنا ، هذا هو ، انك كنت تريدين مكانا في العربة .

جروشا : سيدتي ، أنا أعترف اني من أسرة وضيعة فأرجوك لا تحضري الشرطة . أما الطفل فمن أسرة عظيمة ، انظري لفائفه ، انه هارب مثلك تماما .

صغرى السيدتين : من أسرة عظيمة ! هذه قصة قديمة ! الوالد أمير أليس كذلك ؟

جروشا : (وقد خرجت عن طورها ، مخاطبة السيدة الكبرى) يجب ألا تنادي . انك لا قلب لك اذن .

صغرى السيدتين : (مخاطبة الكبرى) انتبهي ، انها ستمسك بخناقك ، انها خطيرة . المساعدة ! الى السفاحة !

الخادم : (يصل) ماذا حدث ؟

كبرى السيدتين : هذه المخلوقة اندست بيننا مدعية انها سيدة محترمة . ومن المحتمل أن تكون سارقة .

صغرى السيدتين : ومن النوع الخطر . لقد أرادت أن تقتلنا .

ان شأنها مع الشرطة . آه يا الهي ، أشعر من جديد بالصداع !

الخادم : الشرطة الآن غير موجودة . (مخاطبا جروشا) : احزمي متاعك يا بنية ، واختفي كالسجق في النملية .

جروشا : (غاضبة وآخذة الطفل) يالكن من وحوش ! سترون كيف يعلقون رءوسكن في أعلى الجدران !

الخادم : (وهو يدفعها الى الخارج) أمسكي لسانك ! والا حضر العجوز ، وهو رجل لا يعرف الهزل .

كبرى السيدتين : (موجهة الكلام الى الصغرى) تحققي أنها لم تسرق شيئا .

(بينما تنظر السيدتان ما اذا كان شيء قد سرق ، يخرج الخادم من ناحية اليسار من البوابة الكبيرة بصحبة جروشا)

الخادم : أنا أقول دائما ان سوء الظن أبو الأمان . وفي المستقبل أنظري في الناس قبل أن تخالطيهم .

جروشا : لقد ظننت أنهما ربما تعاملان شخصا من وسطهما معاملة لائقة .

الخادم : أبدا . صدقينى أن أصعب شىء هو تقليد انسان لا يعمل شيئا ولا ينفع فى شىء . ان المرء معهم يضيع اذا ما تفطنوا الى أنه يحسن عمل أموره بنفسه أو قد اشتغل بأصابعه العشرة ذات مرة . انتظرى قليلا ، سأحضر لك بعض خبز ذرة وبعض التفاح .

جروشا : لا عليك . الأفضل أن أذهب قبل أن يأتى صاحب الخان — واذا مشيت طول الليل ، سأكون بمنأى عن الخطر ، فيما أظن .

(ترحل)

الخادم : (هامسا ، وهى تبتعد) سيرى على اليمين عند أول تقاطع .

(تختفى)

المغنى :

حينما سارت جروشا ڤاشنادزى [1] صوب الشمال
كان يطاردها جنود الأمير كازبكى

(١) م : فى الجبال صوب الشمال .

المازقون :

حافية كيف تقوى على تجنب الجنود
ومعهم كلاب تجيد شم الدم ، انهم ماهرون فى نصب الكمائن ؟
وحتى فى الليل يطاردون . والمطارِدون يجهلون التعب .
والسفاحون نومهم قليل .

(جنديان يمشيان على الطريق الكبير)

العريف : يا رأس الخشب ، لا فائدة فيك أبدا . والسبب فى هذا أنك لا تعمل بقلب . (*) والرئيس يفهم هذا من دلائل بسيطة . حينما فعلت فعلتى مع الأم الكبيرة منذ يومين ، أمسكت بالزوج كما أمرتك ، ورفسته فى بطنه . لكن هل فعلك ذلك عن طيب خاطر وسرور كجندى حقا أو لمجرد القيام بالواجب ؟ (*) لقد لاحظتك يا رأس الخشب . أنت كالعود الخاوى أو النحاس الذى يرن ، ولن تنال أشرطة أبدا . (يتمشيان فى صمت بعض الوقت) . لا تظن أننى نسيت أن أسجل أنك

* ... * : تحذف .

ما ضيعت فرصة لتبدى أنك غليظ ثقيل . انى أمنعك من العرج . انك تفعل ذلك من جديد لأنى بعت الخيول ، اذ لم أستطع الحصـــول على سعر أحسن . انك بهذا العرج تريد أن تفهمنى أنك لا تريد أن تكون من المشاة ، اننى أعرفك . هذا لا يفيدك ، بل يضرك . غناء !

الرجلان المسلحان:

انني ذاهب الى ميدان الحرب حزينا
لأنى تركت حبيبتى فى البيت
وعلى زملائى أن يحافظوا على شرفى
الى أن أعود من الميدان

العريف : أقوى من هذا !

الرجلان المسلحان: حينما أرقد فى تراب المقبرة
ستأتينى حبيبتى بحفنة من التراب
وتقول : هنا ترقد الأقدام التى كانت تجرى من أجلى

والذراعان اللتان كانتا تعانقانى .

(يسيران فى صمت مرة أخرى)

العريف : ان الجندى الحقيقى يبذل نفسه وبدَنَه فى كل ما يفعل . انه يقطع نفسه من أجل رئيسه . وبعينه التى ستغمض ، ينظر الى جاويشه وهو يعلن تأييده لعمله بحركة رأسه . ان هـذا جزاؤه الأوفى الذى لا يريده غيره . أما بالنسبة اليك فلا حركة من الرأس ، وستموت رغم ذلك . يا مصلوب ، انى أتساءل كيف أجد ابن الحاكم بواسطة نفر مثلك .

(يستمران فى السير)

المغنى :

حينما بلغت جروشنا ڤاشنادزى نهر سرا
ثقل عليها الهروب ، وبدا الطفل المسكين ثقيلا

العازفون :

فى حقول الأذرة يصبح الصباح الوردى نفسه باردا
لمن لم يتذوق طعم النوم ؛ (*) والتصـادم المرح

لجرادل اللبن فى المزرعة التى يتصاعد منها الدخان
يرن فى أذن الهارب رنين التهديد (*) .
ان التى تحمل الطفل تشعر بالعبء ، وهذا تقريبا
كل شىء .

(جروشا تقف أمام دوار فلاح)

جروشا : لقد بللت نفسك مرة أخرى ، وأنت تعلم أنه ليس عندى تغييرة ، يا ميخائيل . يجب أن نفترق الآن ، لقد بعدنا كثيرا عن المدينة . وهم لا يطاردونك بعنف وحرص ، يا طفلى العزيز ، الى حد أن يأتوا حتى هنا . والمرأة هناك يبدو عليها الطيبة ؛ ثمّ رائحة اللبن . واذن وداعا يا ميخائيل ، وسأحاول نسيان رفساتك فى ظهرى طول الليل لحثى على السير ، وأنت ستنسى فقر الغذاء ، فما كان عن رغبة منى . بودى لو كنت أحتفظ بك ، بسبب أنفك الصغير ، ولكن هذا غير ممكن . وكنت أود أن أريك أول أرنب ، حتى لا تبلل نفسك بعد ، لكن يجب على أن أعود : فربما يعود صديقى الجندى

* ... * تحذف .

عما قليل هو الآخر ؛ فهل تريد ألا يجدنى ؟ لا أظنك تطالبنى بهذا يا ميخائيل .

(تدخل فلاحة ضخمة فى الدوار ومعها جردل لبن . تنتظر جروشا دخولها ثم تقترب بحذر من الدوار . تتسلل بالقرب من الباب وتضع الطفل على العتبة . ثم تنظر ، مختبئة وراء شجرة . تخرج الفلاحة وتجد الحزمة .)

الفلاحة : يا الهى ، ماذا أرى ؟ تعال يا زوجى !

الفلاح : (مسرعا اليها) ماذا حدث ؟ دعينى أشرب حسائى .

الفلاحة : (للطفل) أين أمك ؟ أليست لك أم ؟ انه ولد . وملابسه من النوع الفاخر ، انه ابن ناس من علية القوم . لقد وضعوه هكذا أمام الباب ؛ اننا نعيش فى زمان عجيب .

الفلاح : انهم حالمون اذا كانوا يظنون أننا سنطعمه . أنت تذهبين الى القرية وتحمليه الى القسيس ، وانتهى الأمر .

الفلاحة : ماذا عسى أن يفعل به القسيس ؟ انه فى حاجة الى أم ، لا الى قسيس . ها هو ذا قد استيقظ . ألا تعتقد أننا نستطيع أيضا أن نأخذه عندنا ؟

الفلاح : (صارخا) لا !

الفلاحة : اذا أرقدته فى الركن قـــرب الكرسى ، فانى لن أحتاج الا الى سلة ، واذا ذهبت الى الحقل أخذته معى . أرأيت كيف يضحك ؟ يا رجلى ، ان فوق رءوسنا سقفا ، وفى وسعنا أن نفعل ذلك ، ثم ما عليك الا السكوت .

(تحمل الطفل الى الداخل ، يتبعها الفلاح محتجا . تخرج جروشا من خلف الشجرة ، تضحك وتمضى لسبيلها مندفعة فى الجهـــة المقابلة)

المغنى :

لماذا أنت فرحة هكذا ، أيتها العائدة الى بلدك ؟

العازفون :

ان الطفل الهزيل قد اكتسب بابتسامته
والدين جديدين ، وأنا فرحة . والصغير الذى أحببته
تخلصت منه ، وأنا سعيدة

المغنى :

ولماذا أنت هكذا حزينة ؟

العازفون :

لأنى أغدو طليقة ، أنا حزينة حزن من سرقوه ، ومن فقد كل شىء

(كانت قد قطعت مسافة قصيرة الى أن قابلت الرجلين المسلحين ، اللذين صوبا رماحهمـا اليها)

العريف : يا فتاة ، لقد وقعت فى قبضة السلطة العسكرية . من أين أنت قادمة ؟ ومن أى طريق ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ هل بينك وبين العدو اتصالات غـير مشروعة ؟ أين هو ؟ أى حركات يقوم بهـا خلفك ؟ ما الذى يجرى فى التلال والأودية ، وكيف حال تحصينات الجوارب ؟

(تقف جروشا مرتعدة خائفة)

جروشا : انها محصنة تحصينا وثيقا ، والأفضل لكم أن تنسحبوا .

العريف : انى أنسحب دائما فى الوقت المناسب ، ففيما يتعلق بهذا يمكن الوثوق بى ! لماذا تتطلعين هكذا الى الحربة ؟ « ان الجندى فى الميدان يحتفظ دائما بحربته فى يده » ، هذا ما يقضى به القـانون

العسكرى ، تعلم هذا يا رأس الخشب . اذن الى أين يا فتاة ؟

جروشا : انى عائدة للقاء خطيبى أيها الجندى ، واسمه سيمون شاشاقا فى حرس قصر نوخا . ولو كتبت اليه لكسر أضلاعكم جميعا .

العريف : سيمون شاشاقا ؟ طبعا أنا أعرفه . لقد أعطانى المفتاح لأذهب اليك بين الحين والحين . يا رأس الخشب ، سيكرهوننا . يجب أن نصرّح بأن نوايانا حسنة . يا فتاة ! ان وراء مظهرى المازح مزاجا جادا ، وانى أقول لك رسميا : انى أريد أن أحصل منك على ولد . (جروشا تصيح صيحة خفيفة) يا رأس الخشب ، لقد فهمتنا . آه ، هل هذه هى القشعريرة العذبة ؟ . « يجب علىّ أولا أن أنتزع الفطيرة من الفرن يا حضرة العريف ويجب علىّ أولا أن أغيّر القميص الممزق ، يا سيدى القائمقام ! » لكن لندع المزاح جانبا وكفى هزلا . يا فتاة ! اننا نبحث عن طفل فى هذه الناحية . هل تعرفين شيئا عن

طفل كهذا أحضر من المدينة الى هنا ، طفل رقيق ملفوف فى كساء رقيق ؟

جروشا : لا أعرف شيئا عن هذا الموضوع .

المغنى :

اجرى يا عزيزة (١) فقد أقبل السفاكون !

ساعدى المسكين ، يا مسكينة ! وهكذا جرت الفتاة .

(جروشا تدور دورة مفاجئة وتهرب فى فزع شديد . الرجال المسلحون ينظر بعضهم بعضا ويقتفون أثرها وهم يسببون)

العازفون :

فى الأوقات الحافلة بالدماء

يعيش أيضا أناس طيبون

(فى دوار المزرعة ، الفلاحة عاكفة على السلة التى يرقد فيها الطفل ، حينما تدخل جروشا ڤاشنادزى فى الدوار باندفاع)

جروشا : خبئيه بسرعة . ان الجنود المسلحين قادمون . أنا التى وضعته أمام الباب ، ولكنه ليس ابنى ، وانما هو ابن أناس رفيعى المرتبة .

(١) م + : اجرى فقد ...

الفلاحة : من القادم ، وأى جنود مسلحين ؟

جروشا : لا تسألى طويلا ، الجنود المسلحون الذين يفتشون عنه .

الفلاحة : ليس فى بيتى ما يفتشون عنه . لكن يبدو أن لى كلمة معك .

جروشا : انزعى عنه الملابس الرقيقة ، فان ذلك يكشف عن هويته .

الفلاحة : الملابس الرقيقة ، الملابس الرقيقة ! أنا هنا صاحبة الأمر والنهى ، ولا تثرثرى فى بيتى . لماذا تركتيه أنت ؟ هذه خطيئة .

جروشا : (وهى تنظر الى الخارج) انهم قادمون وراء الأشجار (*) . كان يجب علىّ ألا أجرى ، فقد أهاجهم هذا (*) . ماذا أفعل اذن ؟

الفلاحة : (تتطلع هى الأخرى الى الخارج وتصرخ فجأة) يا الهى ! رجال مسلحون !

جروشا : انهم يتعقبون أثر الطفل .

الفلاحة : واذا دخلوا هاهنا ؟

---

* ... * : تحذف .

جروشا : يجب عليك ألا تعطيهم اياه . قولى انه ابنك .

الفلاحة : نعم .

جروشا : انهم سيشوونه على السيخ ، اذا أعطيتهم اياه .

الفلاحة : لكن اذا طالبوا به ؟ ان عندى هنا نقود المحصول .

جروشا : اذا سلمته اليهم شووه على السيخ هنا فى بيتك . يجب عليك أن تقولى انه ابنك .

الفلاحة : نعم . ولكن اذا لم يصدقوا كلامى ؟

جروشا : اذا أصررت على ذلك .

الفلاحة : سيحرقون السقف على رءوسنا .

جروشا : لهذا يجب أن تقولى انه ابنك . انه يسمى ميخائيل . هذا ما كان يجب أن أقوله لك . (الفلاحة تهز رأسها علامة الموافقة) لا تحركى الرأس هكذا . لا ترتعدى ، انهم سيرونه .

الفلاحة : نعم .

جروشا : كفى : نعم ، نعم ! فانى لا أستطيع سماعها بعد . (تهزها) أليس لك أولاد ؟

الفلاحة : (متمتمة) انه فى ميدان الحرب .

جروشا : لعله هو الآخر رجل مسلح الآن . هل تدعينه يشوى الأطفال على السيخ ؟ (*) ستهزينه كما يجب وتقولين له : أما كفاك العبث بالرمح فى مطبخى ؟ هل ربيتك هكذا ولهذا ؟ امخط أولا ، قبل أن ترد على أمك (*) .

الفلاحة : صحيح ، معى يجب ألا يفعل شيئا كهذا .

جروشا : عدينى بأن تقولى لهم انه ابنك .

الفلاحة : نعم .

جروشا : انهم قادمون الآن .

(يسمع قرع على الباب . لاتجيب الامرأتان.
(يقتحم الرجال المسلحون . الفلاحة تنحنى انحناءة عميقة)

العريف : آه ، هاهى ذى . ماذا قلت لك ؟ ان لى أنفا تشم من بعيد ! واذا بى أندفع وراء الأثر ! انى سأسألك سؤالا يا فتاة : لماذا لم تبقى معى ؟ ماذا ظننت أنى فاعل بك ؟ أراهن أنك ظننت أمرا غير لائق . قولى لى كل شىء .

---

* ... * : تحذف .

جروشا : (بينما الفلاحة تكرر الاحترامات) كنت قد تركت اللبن على النار ، فتذكرت ذلك وعدت .

العريف : ظننت أنك اعتقدت أننى سأنظر اليك نظرة غير شريفة ، وكأنى تصورت شيئا بيننا ؛ نظـرة شهوانية ، تعرفين ما أقصد ؟

جروشا : لم ألحظ ذلك .

العريف : لكن عليك أن تعترفى أن هذا أمر ممكن : ومن الممكن أن أكون خنزيرا ولكننى أكلمك بصراحة : اننى أتصورنا وحدنا معا وسيكون هذا شيئا جميلا حقا .

(مخاطبا الفلاحة) أما عندك شغل فى الخارج ؟ ألست فى حاجة الى القاء الحب للدجاج ؟

الفلاحة : (وقد جثت على ركبتيها فجأة) يا سيدى الجندى أنا لا أعرف شيئا . لا تحرق السقف على رأسى .

العريف : ماذا تقولين ؟

الفلاحة : اننى لا شأن لى فى هذا يا سيدى الجندى . انها هى التى وضعته أمام الباب ، وأقسم لك على ذلك .

العريف : (وقد لاحظ الطفل ، فصفّر) ما هذا ! شىء

صغير فى السلة ، يا رأس الخشب ، اننى أشم رائحة ألف قرش . خذ العجوزة الى الخارج وأوثقها جيدا ؛ يبدو أننى يجب أن أتولى التحقيق فورا .

(الفلاحة يقودها الجندى دون أن تنبس بكلمة)

العريف : هاهو ذا الطفل الذى أردت منك الحصول عليه .

(يقترب من السلة)

جروشا : سيدى الضابط ، انه ابنى . انه ليس الطفل الذى تبحثون عنه .

العريف : سننظر فى هذا .

(ينحنى على السلة . جروشا تلقى حواليها بنظرات يائسة)

جروشا : انه ابنى ، انه ابنى .

العريف : ملابس رقيقة .

(جروشا تلقى بنفسها عليه لمنعه . يدفعها بعنف وينحنى مرة أخرى على السلة . تلقى حواليها بنظرات يائسة وترى جذعا ضخما تأخذه بقوة يأسها وتنهال به على رأس العريف من الخلف . يسقط على الأرض . فتأخذ الطفل بسرعة وتندفع الى الخارج .)

المغنى :

وهربت من الرجال المسلحين
وبعد مسيرة اثنين وعشرين يوما
وعند سفح جبل ينجا — تاو المغطى بالثلوج
تبنت جروشا ڤاشنادزى هذا الطفل

العازفون :

النحيفة تبنت النحيف

(جروشا ڤاشنادزى تجلس القرفصاء ، وتنحنى على جدول نصف متجمد ، وتأخذ للطفل ماء فى راحة يدها)

جروشا :

ما دام لا يريد أحد أن يأخذك
فينبغى علىّ أن آخذك
وما دام لا حيلة لك فى ذلك
— يوم سيىء ، وسنة سيئة —
فينبغى عليك أن تتحملنى

لقد جررتك طويلا معى
وقدماى أصابهما الحفا
ولأن اللبن كان غالى الثمن
أصبحت عزيزا عندى

(ولا أريد بعد أن أفقدك)
سأطرح قميصك الرقيق
وألبسك الخرق البالية
وأغسلك وأعمّدك
بماء الثلوج
(وعليك أن تحتمله)

(نزعت عن الطفل ملابسه الرقيقة ولفته فى خرق بالية)

المغنى :

وحينما وصلت جروشا ڤاشنادزى ، يطاردها الجنود ،
الى عبّارة الثلوج ، التى تؤدى الى القرى فى الجانب الشرقى
غنت نشيد العبارة المتآكلة وعرّضت روحين للخطر .

(هبت الريح • ومن الظلال تبدى عبّارة الثلوج ، وقد قطع أحد الحبال فأصبحت العبّارة نصف معلقة على الهاوية • يتوقف ثلاثة تجار ، رجلان وامرأة ، أمام العبّارة مترددين ، حينما تأتى جروشا ومعها الطفل • غير أن أحد الرجلين يحاول أن يستنقذ الحبل المعلق بواسطة عود طويل)

الرجل الاول : خذى وقتك يا سيدتى الشابة .. ها أنت ذى ترين أنك لن تستطيعى المرور .

جروشا : لكن يجب علىّ أن أعبر أنا والطفل الى الجانب الآخر لأزور أخى .

التاجرة : يجب ! يجب ! وأنا يا سيدتى لابد لى أن أعبر ، لأنه ينبغى علىّ أن أذهب الى آتوم لشراء سجادتين ، وينبغى أن تقوم واحدة أخرى ببيعهما لأن زوجها قد مات . لكن هل يمكن الانسان أن يفعل ما يجب أن يفعل ، وهى : هل يمكنها ؟ ان أندريه يحاول من ساعتين أن يستنقذ الحبل ، فان آفلح فى ذلك فانى أتساءل كيف يربطه .

الرجل الأول : (مصغيا) اسكتى ! يخيل الىّ أنى أسمع شيئا .

جروشا : (بصوت عال جدا) ان الخشب لم ينخره السوس تماما . وأظن أننى أستطيع أن أحاول العبور الى الناحية الأخرى .

التاجرة : أما أنا فلن أحاول ، حتى لو كان الشيطان يتعقبنى . فهذا انتحار .

الرجل الأول : (صائحا) آوه !

جروشا : لا تصيّح هكذا ! (مخاطبة التاجرة) : قولى له ينبغى ألا يصيح .

الرجل الأول : لكن هناك فى أسفل أناس ينادون ، ولعلهم أناس ضلوا الطريق .

التاجرة : ولماذا لا يصيح وينادى ؟ هل هناك أمر مريب بشأنك ؟ هل هم يتعقبونك ؟

جروشا : اذن علىّ أن أصارحك : ان الجنود يتعقبوننى ، لقد خنقت واحدا منهم .

الرجل الثانى : خبئى البضاعة

(التاجرة تخبىء زكيبة وراء صخرة)

الرجل الأول : لماذا لم تقولى ذلك فورا ؟ (مخاطبا الآخرين) : ان هؤلاء لو أمسكوا بها لقطعوها اربا اربا .

جروشا : ابتعدوا من هنا ، اذ يجب علىّ أن أمر .

الرجل الثانى : مستحيل . ان عمق الممر ألفا قدم .

الرجل الأول : حتى لو استنقذنا الحبل ، فلن يفيدنا هذا شيئا . يمكن أن نمسك به بأيدينا ، لكن الجنود بعد ذلك يمرون بالطريقة نفسها .

جروشا : ابتعدوا !

(نداءات من غير بعيد : « من هنـــاك ، صعودا » .)

التاجرة : انهم ليسوا بعيدين . ولكنك لا تستطيعين أن تعبرى مع الطفل . فان من المؤكد أنها ستتحطم . انظرى فى أسفل !

(جروشا تتأمل الهاوية . ومن أسفل تصاعد مرة أخرى نداءات الجنود)

الرجل الثانى : ألفا قدم .

جروشا : لكن أسوأ من هذا : رجال مثل هؤلاء .

الرجل الأول : لن تستطيعى ، خصوصا بالنسبة الى الطفل . غامرى بحياتك ان شئت ، ولكن لا تغامرى بحياة الطفل ، ما داموا يطاردونك .

الرجل الثانى : ثم انها بالطفل ستكون أثقل .

التاجرة : ربما كان من الضرورى أن تعبر . أعطينى الطفل وأنا أخبئه ، واعبرى وحدك .

جروشا : أما هذا ، فلا . لا واحد منا بغير الآخر .

(مخاطبة الطفل :)

ما أعمق الهاوية يا بنى
وما أشد تحطم العبّارة
لكننا لا نختار طريقنا يا بنى

لابد لك أن تسير فى الطريق
الذى وجدته لك
وأن تأكل الخبز
الذى هيأته لك

يجب أن تتقاسم اللقمتين
ومن الأربع تأخذ ثلاثا
لكن هل هى كافية :
هذا ما لست أدريه
سأحاول .

التاجرة : انك تلقين بنفسك الى التهلكة .

(نداء من أسفل)

جروشا : أرجوكم ألقوا بالعود الطويل ، والا استنقذوا الحبل ومروا ورائى .

(تأخذ فى المسير على العبّارة وهذه تترنح. تصرخ التاجرة وقد ظنت أن العبّارة بسبيل أن تتحطم . لكن جروشا تستمر وتصل الى الناحية الأخرى)

الرجل الاول : لقد عبرت .

التاجرة : (وكانت قد جثت على ركبتيها تدعو وتصلى ، بلهجة شريرة) ولكن فى هذا اهانة للرب مع ذلك !

(يظهر الجنــود . رأس العريف مربوطة برباط)

العريف : ألم تشاهدوا فتاة معها طفل ؟

الرجل الاول : (بينما الآخر يلقى بالعود الطويل فى الهاوية) نعم ، هناك . والخشب لا يتحملك .

العريف : يا رأس الخشب ، ستدفع ثمن ذلك .

(جروشا ، فى الناحية الأخرى ، تضحك وترى الطفل للجنود . وتستمر فى طريقها، تاركة العبّارة خلفها . يسمع هزيم الريح.)

جروشا : (متلفتة الى ميخائيل) يجب ألا تخاف من الريح يا ميخائيل ؛ انها هى الأخرى لا تفعل أكثر من أن تدفع السحاب ، وتقاسى هى البرد . انها مجرد كلب مسكين .

(يبدأ الثلج فى التساقط)

جروشا : والثلج يا ميخائيل ليس أسوأ شىء . كل ما يفعله

هو أن يغطى شجيرات الصنوبر حتى لا يقتلها الشتاء . والآن ، اسمع ، سأغنى أغنيــة ، تتحدث عنك .

(تغنى)

أبوك لص
وأمك عاهرة
وأمامك سينحنى
أشرف الناس
ان ولد النمر
يعلف الأمهار
وولد الحية
يحمل اللبن الى الأمهات (*)

(*) نظما :

لص أبــوك وان أمــك عاهرة
وأمامك القوم الكرام سينحنون
تغذو صغار الخيل أبناء النمر
والأم ينفحها ابن الأفعى باللبن

- ٣ -

فى جبال الشمال

المغنى : مشت الأخت من الأيام سبعة
تهبط الوادى وتمشى فى الثلوج
أفكرت : « ان جئت فى بيت أخى

---

* الترجمة الحرفية :
مشت الأخت سبعة أيام
وعبرت الثلوج وهبطت السفوح
وقالت لنفسها : « حينما أدخل بيت أخى
سينهض ويعانقنى »
ويقول لى : « ها أنت ذى يا أختى ؟ »
« لقد كنت فى انتظارك من زمن طويل
هاهى ذى زوجتى الممتازة ، وهذه
هى المزرعة التى كانت بائنتها :
احد عشر فرسا ، وواحدة وثلاثون بقرة .
اجلسى . اجلسى على مائدتنا مع طفلك وكلى » .
وكان بيت الأخ فى واد باسم
والأخت لما وصلت كانت مريضة من فرط المشى
ونهض الأخ من المائدة .

هبّ للفور سعيدا بعناقى »
قائلا : أختاه ! هل أنت هنا ؟
اننى منذ زمان فى انتظارك
هذه زوجى ، وهذا حقلنا
نلته بائنة من زوجتى
عدد الخيل به عشر وواحد
بقر فيه ثلاثون وبَقَره
اجلسى أختاه للأكل وطفلك .
كان بيت الأخ فى واد بهيج
كانت الأخت من المشى مريضة
هبّ من مائدة الأكل وحيّا

(زوج من الفلاحين الغلاظ جلسوا الى المائدة منذ قليل . وقد وضع لورنتى ڤاشنادزى الفوطة حول رقبته . تدخل جروشا ومعها الطفل ، يسندها خادم يعمل فى المزرعة ، ووجهها يعلوه الشحوب)

لورنتى : أوه ! من أين أقبلت هكذا يا جروشا ؟

جروشا : (بصوت ضعيف) لقد اخترقت ممر يانجا — تاو ، يا لورنتى .

الخادم : انما عثرت عليها عند جرن الدريس ، ومعها طفل صغير .

زوجة الأخ : اذهب وفَرجِن المهرة . (الخادم يخرج) .

لورنتى : هذه زوجتى ، واسمها أنيقو .

زوجة الأخ : كنا نظن أنك تشتغلين فى نوخا .

جروشا : (وهى لا تكاد تمسك بدنها) نعم ، كنت هناك .

زوجة الأخ : ألم يكن الشغل حسنا هناك ؟ لقد سمعنا أنها كانت شغلة جيدة .

جروشا : لقد قتلوا الحاكم .

لورنتى : نعم ، يظهر أنه كانت هناك اضطرابات . وعمتك أيضا قالت لنا ذلك ، أتذكرين يا أنيقو ؟

زوجة الأخ : كل شىء هادىء عندنا هاهنا . أما فى المدينة فلابد دائما من وقوع حوادث . (تذهب ناحية الباب وتنادى) : سوسو ، سوسو ، اترك الفطيرة فى الفرن قليلا ، أتسمع ؟ أين ذهبت ؟

(تخرج ، مستمرة فى النداء)

لورنتى : (بسرعة ، وبصوت خفيض) هل له والد ؟

(تشير اشارة النفى) أدركت ذلك . يجب اختراع شيء . انها تقية .

زوجة الأخ : (تدخل) آه من الخدم ! (مخاطبة جروشا) : آه ! ألك طفل ؟

جروشا : انه ابنى . (تنهار ، فينهضها لورنتى)

زوجة الأخ : بحق مريم ويوسف ، انها مريضة ، ماذا نعمل ؟

(يريد لورنتى أن يقتاد جروشا ناحيــة مصطبة الفرن • أنيقو خائفة تشير اليــه بألا يفعل ، وتحيله على الزكيبة عند الحائط)

لورنتى : (يأتى بجروشا ناحية الحائط) اجلسى . اجلسى . انه مجرد اعياء من فرط التعب .

زوجة الأخ : اللهم الا اذا كانت مصابة بالحمى القرمزية .

لورنتى : لو كان الأمر كذلك لكان هناك بقع حمراء . انه التعب ، فلا تجزعى ، يا أنيقو . (مخاطبا جروشا) : الجلوس أحسن ، أليس كذلك ؟

زوجة الأخ : الولد ابنها ؟

جروشا : نعم ، ابنى .

لورنتى : انها ستعود الى زوجها .

زوجة الأخ : صحيح ؟ ان لحمتك ستبرد . (يجلس لورنتى ويبدأ فى الأكل) . ان أكل البارد لا يناسبك ، اذ يجب ألا نترك الدهن يتجمد . ومعــدتك كما تعرف ليست قوية . (مخاطبة جروشا) : اذا كان زوجك ليس فى المدينة ، فأين هو اذن ؟

لورنتى : انها متزوجة فى الناحية الأخرى من الجبل ، كما تقول .

زوجة الأخ : آه ، صحيح ؟ فى الناحية الأخرى .

(تجلس هى الأخرى الى المائدة)

جروشا : أظن يالورنتى أنك ينبغى أن ترقدنى فى مكان ما .

زوجة الأخ : (مستمرة فى أسئلتها) اذا كان هو السل ، فسنصاب بالعدوى جميعا . هل لزوجك مزرعة ؟

جروشا : انه جندى .

لورنتى : لكنه ورث مزرعة عن أبيه ، مزرعة صــغيرة جميلة .

زوجة الأخ : انه ليس فى ميدان الحرب ؟ لماذا ؟

جروشا : (بصعوبة) نعم ، انه فى الميدان .

لورنتى : ولما يعود من الحرب سيذهب الى مزرعته .

زوجة الأخ : (١) لكنك تريدين الآن الذهاب الى هناك ؟

لورنتى : نعم ، فى انتظار عودته .

زوجة الأخ : (بصوت نافذ) سوسو ، الفطيرة !

جروشا : (هامسة فى نوبة الحمّى) مزرعة .. جندى .. انتظار . اجلسى وكلى .

زوجة الأخ : هذه هى الحمى القرمزية .

جروشا : (ناهضة قفزا) نعم ، عنده مزرعة .

لورنتى : أعتقد أنه الاجهاد ، يا أنيقو . ألا تريدين أن تذهبى لترى ما جرى للفطيرة ، يا عزيزتى ؟

زوجة الأخ : لكن متى يعود ؟ يبدو أن الحرب قد استؤنفت . (تخرج صائحة تجر قدميها) : سوسو ، أين اختبأت ؟ سوسو !

لورنتى : (ينهض بسرعة ويذهب الى جروشا) سيكون لك سرير فى الغرفة . انها طيبة ، لكن بعد الأكل .

---

(١) م : لكن هل هى تريد الرحيل الآن الى هناك ؟

جروشا : (تعطيه الطفل) خذ ! (يأخذه ويتلفت حواليه)

لورنتى : لكنك لن تستطيعى المقام هنا طويلا . انها تقية ، وانت فاهمة .

(جروشا تتداعى . يأخذها أخوها بين ذراعيه)

المغنى :

كانت الأخت مريضة جدا
وكان على أخيها الجبان أن يؤويها
ومضى الخريف وأقبل الشتاء
وكان الشتاء طويلا
وكان الشتاء قصيرا
وكان ينبغى ألا يعرف الجيران
وكان ينبغى ألا تعض الفئران
وكان ينبغى ألا يقبل الربيع

(جروشا فى غرفة الخزين أمام المغزل . والطفل يجلس القرفصاء على الأرض . وكلاهما مغطى بالأغطية)

جروشا : (تغنّى) :

واستعد الحبيب للرحيل
وفى اثره ذهبت الخطيبة ضارعة اليه

ضارعة اليه وباكية ، باكية ناصحة :

« يا أعز حبيب ، يا أعز حبيب
اذا كنت ذاهبا الى الحرب الآن
واذا كنت ذاهبا لملاقاة العدو
فلا تندفع فى الحرب
ولا تجر وراء الحرب
ففى المقدمة نار حمراء
وفى المؤخرة دخان أحمر
تمسك بوسط الحرب
وتمسك بحامل العلم
ان الأولين يموتون دائما
والأخيرين أيضا يصيبهم القتال
أما الذين فى الوسط فيعودون الى بيوتهم .

يا ميخائيل ! يجب أن نكون ماكرين . لو تصاغرنا وحدنا مثل الخنافس ، فان زوجة الأخ ستنسى أننا فى بيتها . وحينئذ نستطيع أن نبقى حتى تذوب الثلوج . ولا تبك بسبب البرد

حينما يكون المرء فقيرا ، وفوق ذلك يشعر بالبرد ، فهذا يثير الكراهية .

(يدخل لورنتى · ويجلس الى جوار أخته)

لورنتى : لماذا تبقين هكذا كالسواقين ؟ هل الغرفة باردة جدا ؟

جروشا : (خالعة شالها بسرعة) ليس ثم برد يا لورنتى .

لورنتى : اذا كان هاهنا برد ، فيجب ألا تبقى هاهنا مع الطفل . فان أنيقو ستؤنب نفسها . (صمت) أرجو ألا يكون القسيس قد سألك عن الطفل .

جروشا : انه سأل ، ولكنى لم أجب عليه .

لورنتى : أحسنت صنعا . لقد أردت أن أحادثك بشأن أنيقو . انها طيبة جدا ، لكنها حساسة جدا ، جدا . ان الناس لا يكادون يذكرون سيرة المزرعة الا وينتابها الفزع . انها حساسة جدا . أتعرفين : ذات مرة فى أثناء حضور القداس كان فى جورب راعية البقرة ثقب ، ومنذ هذا اليوم وعزيزتى نيقو تلبس جوربين فى القداس . هذا

أمر لا يصدق ، لكنه كذلك عند الأسر العتيقة . (يرهف أذنه) أأنت متأكدة أنه لا توجد فئران ؟ اذا كان هاهنا فئران ، فلن تستطيعى البقاء فى هذه الغرفة . (يُسمع صوت شبيه بصوت قطرات تساقط من السقف) ماذا يتساقط ؟

جروشا : لابد أنه برميل يرشح .

لورنتى : نعم ، لابد أن يكون برميلا . — لقد أمضيت هنا قرابة نصف عام ، أليس كذلك ؟ هل ذكرت أنيقو؟ طبعا أنا لم أرو لها شيئا عن حكاية الجنود ، فان قلبها ضعيف . ولهذا هى لا تعرف أنك لا تستطيعين البحث عن مكان تأوين اليه ، ولأجل هذا وجهت اليك بالأمس بعض الملاحظات . (يسمعان قطرات تتساقط من جديد) هل تتصورين همومها من ناحية جنديّك هذا ؟ « واذا رجع ولم يجدها ؟ » هكذا تقول وتظل فى السرير مفتوحة العينين . فأقول لها : « من المستحيل أن يعود قبل الربيع » . يالها من ذات قلب طيب ! (تتساقط القطرات على نحو أسرع) متى تظنين أنه يعود ؟ وهل يعود حقا ؟ (جروشا

تلتزم الصمت) . ليس قبل الربيع ، أليس هذا رأيك ؟ (جروشا تلتزم الصمت) انى أرى أنك أيضا لا تعتقدين أنه سيعود . (جروشا لا تقول شيئا) . لكن اذا أتى الربيع وذاب الثلج هنا وفى طرق الممرات ، فانك لن تستطيعى البقاء هاهنا ، لأن الذين يفتشون عنك قد يأتون الى هنا ، وان طفلا بلا والد يجعل الناس يثرثرون .

(طبطبة القطرات المتساقطة تزداد شدة ولا تتوقف)

جروشا ! ان الثلج يذوب على السقف ، والآن وافى الربيع .

جروشا : نعم .

لورنتى : (بحرارة) اسمعى ، هذا ما سنفعله . أنت فى حاجة الى مكان تذهبين اليه ، فما دام لك ولد (يتنهد) فيجب أن يكون لك زوج لمنع الناس من الكلام . وأنا أخذت احتياطى وفكرت فى الطريقة التى بها نجد لك زوجا . جروشا ، لقد وجدته . اذ تحدثت مع امرأة لها ابن فى

الناحية الأخرى من الجبل ، ولهما مزرعة ، وهى موافقة على الزواج .

جروشا : لكنى لا أستطيع الزواج بأحد . يجب علىّ أن أنتظر سيمون شاشافا .

لورنتى : طبعا . لقد فكرت فى كل هذا . ما تحتاجين اليه ليس زوجا للفراش ، بل زوجا على الورق . ولقد وجدت واحدا فعلا . ان ابن الفلاحة التى اتفقت معها على وشك أن يفارق الحياة . أليس هذا رائعا ؟ انه يعالج سكرات الموت . وكل شىء كما قلنا : « زوج فى الناحية الأخرى من الجبل » . وحينما تصلين اليه يكون قد أسلم الروح وأصبحت أرملة . ماذا تقولين فى هذا ؟

جروشا : ورقة عليها ختم — هذا يفيد ميخائيل .

لورنتى : الختم هو المهم . فبدون ورقة وعليها ختم ، شاه ايران نفسه لا يستطيع أن يثبت أنه الشاه . وفضلا عن ذلك فهذا يكفل لك سقفا تلوذين به .

جروشا : وماذا تريد هذه المرأة ، فى مقابل ذلك ؟

لورنتى : أربعمائة قرش .

جروشا : ومن أين لك بهذا المبلغ ؟

لورنتى : (وعليه سيماء المتآمر) ثمن اللبن الخاص بأنيقو .

جروشا : هناك لا يعرفنا أحد . وما دام الأمر كذلك ، فسأعمل كما تقول .

لورنتى : (ناهضا) سأخبر الفلاحة فورا .

(يغدو مسرعا)

جروشا : يا ميخائيل ! أنت تسبب لى متاعب . لقد ورثتك كما ترث شجرة الكمثرى أسرابا من العصافير . والانسان العاقل هو الذى ينحنى ليلتقط كسرة الخبز ، حتى لا يحدث شىء . يا ميخائيل ! كان الأولى بى أن أمضى مسرعة فى يوم أحد الفصح ذلك فى نوخا [1] . والآن ، هأنذا أدفع الثمن .

المغنى :

كان العريس يعالج سكرات الموت حينما أقبلت العروسة

وكانت الحماة واقفة بالباب تحثها على الاسراع

(١) م + : فى الفناء الثالث .

وأتت العروسة بطفل معها . وخبأه الشاهد أثناء
مراسم الزواج

(غرفة مقسمة الى قسمين بحاجز . فى ناحية يوجد سرير : وخلف الناموسية يرقد رجل مريض جدا فى حال بائسة . وفى الناحية الأخرى تدخل الحماة مسرعة وهى تقود جروشا من يدها . ومن خلفهما يدخل لورنتى ومعه الطفل .)

الحماة : بسرعة ، بسرعة ، والا فارقنا قبل أن تتم مراسم الزواج . (مخاطبة لورنتى) : أما أن لها طفلا فهذا لم يكن فى العقد .

لورنتى : وماذا يهم ؟ (وهو يشير الى المحتضر) : ان هذا عنده سيان ، وهو فى الحال الذى هو عليه الآن .

الحماة : عنده هو ! أما أنا فلن أستطيع البقاء بعد هذا العار . نحن قوم محترمون . (تبدأ فى البكاء) ان ابنى يوسوب لم يصل الى هذا الحد : فتاة لها طفل من قبل !

لورنتى : حسنا . سأعطيك مائتى قرش زيادة . والمزرعة تصبح ملكك ، لقد تعهدنا لك بذلك كتابة ،

لكن بشرط أن يكون لها حق الاقامة هنا لمدة عامين .

الحماة : (وهى تجفف دموعها) ان هذا لا يكاد يكفى لتكاليف الدفن . وانى أرجو أن تعاوننى فعلا فى الشغل . لكن الى أين مضى الراهب ؟ لابد أنه هرب من نافذة [1] المطبخ . والآن فالقرية كلها ستحمل علينا اذا عرفوا أن يوسوب يحتضر. يا الهى ! انتى ذاهبة للبحث عنه [2] ، لكن يجب ألا يرى الطفل .

لورنتى : (*) سأتخذ الاحتياط الضرورى لكيلا يرى الطفل (*) ؛ ولكن قولى لى بهذه المناسبة ، لماذا أحضرت راهبا ولم تحضرى قسيسا ؟

الحماة : انه سيقوم بالعملية كالآخر . لقد كنت مغفلة اذ دفعت له مقدما نصف الأتعاب قبل المراسم ، حتى انه لابد أن يكون قد ذهب الى الخمارة . وأرجو [3] ..

(تخرج بخطى مسرعة)

(١) م : من النافذة .
(٢) م : عن الراهب .
* ... * : تحذف .
(٣) م : سأجرى .

لورنتى : لقد اقتصدت فى النفقات فلم تدع قسيسا ، بل أخذت راهبا بأقل سعر . يالها من وضيعة !

جروشا : ابعث الىّ بسيمون شاشاقا ، اذا جاء رغم كل شىء .

لورنتى : حاضر . (مشيرا الى المحتضر) (١) أفلا تنظرين الى رأسه ؟

(جروشا وقد حملت ميخائيل ، تشير اشارة الرفض) . انه لا يتحرك . آمل ألا نكون قد أتينا متأخرين .

(يرهفان آذانهم . فى الحجرة الأخرى يدخل الجيران ، ويلقون بنظرة حواليهم ويقفون على طول الحائط . ويبدأون فى تلاوة صلوات بصوت خفيض . تدخل الحماة بصحبة الراهب)

الحماة : (مخاطبة الراهب ، بعد صيحة استغراب وضيق) ماذا قلت ؟ (تنحنى أمام المدعوين) أرجوكم أن تصبروا قليلا . ان خطيبة ابنى وصلت من المدينة ، وسنعقد زواجا سريعا .

(١) م : ألا تريدين أن تنظرى هذا المريض ؟

(تدخل مع الراهب غرفة النوم) . لقد كنت أعلم أنك ستروى هذا فى كل مكان (١) .

(مخاطبة جروشا) : يمكن اقامة المراسم فورا . هذا عقد الزواج . أنا وأخو العروسة .. (لورنتى يحاول أن يختفى فى الركن بعد أن أخذ ميخائيل من جروشا . الحماة تبعده بحركة من يدها) . أنا وأخو العروسة شاهدان

(جروشا تجثو أمام الراهب . الجماعة تتوجه ناحية المخدع . الحماة تبعد الناموسية . الراهب يبدأ فى تلاوة المراسم باللاتينية . وفى هذه الأثناء تشير الحماة باستمرار الى لورنتى ليتخلص من الطفل ، وهو أراد أن يفرج الطفل على المراسم ليمنعه من البكاء . وجروشا تلتفت مرة الى الطفل، ولورنتى يشير اليها محركا سلسلة الطفل) (وهى تتطلع الى الطفل)

الراهب : هل تتعهدين بأن تكونى زوجة صالحة لزوجك ، مطيعة أمينة ، وأن تظلى متعلقة به حتى يفصل بينكما الموت ؟

(١) م : يضاف :
عجوز : ماذا سيحدث ؟
امرأة : زواج طوارىء .

جروشا : (وهى تتطلع الى الطفل) نعم .

الراهب : (مخاطبا المحتضر) وأنت ، هل تتعهد بأن تكون زوجا صالحا لزوجتك ، وأن تسهر عليها حتى يفرق بينكما الموت ؟

(لايرد المحتضر ، فيكرر الراهب السؤال ثم يلقى عليهم نظرة دائرية)

الحماة : طبعا هو يتعهد بذلك . ألم تسمعه يقول «نعم» ؟

الراهب : حسنا ، حسنا جدا ، اذن سنعلن أن الزواج قد انعقد ، لكن ما رأيكم فى القيام بطقس المسحة الأخيرة ؟

الحماة : لا فائدة . ان الزواج قد كلف هو وحده كثيرا . والآن ينبغى علىّ أن أهتم الآن بالمعزّين (مخاطبة لورنتى) : لقد اتفقنا على سبعمائة قرش ؟

لورنتى : ستماية . (يدفع) وأنا لا رغبة لى فى الجلوس مع المدعوين والتعرف الى من لا يعلمه الا الله . وداعا اذن يا جروشا ، واذا تصادف وجاءت أختى بعد الترمل لزيارتنا ، فان زوجتى ستقول

لها : « نهارك سعيد ! » بحرارة ، أو ستسمعها .

(يمضى . وفى طريقه يشيعه المعزون بنظرة من غير اكتراث)

الراهب : هل يمكن أن أعرف من هذا الطفل ؟

الحماة : أهنا طفل ؟ انى لا أرى طفلا . وأنت أيضا لا ترى طفلا — مفهوم ؟ والا ، فاننى أيضا ربما رأيت أشياء كثيرة ، هناك ، خلف الخمارة (*) . والآن تعالوا (*) .

(ينتقلون الى القاعة المشتركة ، بعد أن وضعت جروشا الطفل على الأرض وأشارت اليه أن يبقى هادئا . جروشا تقدّم الى الجيران)

الحماة : هذه زوجة ابنى . لقد وصلت فى الوقت المناسب لتجد عزيزها يوسوب حيا .

احدى النسوة : انه لزم فراشه منذ عام ، أليس كذلك ؟ ولما جندوا ابنى ڤاسيلى ، حضر توديعه .

امرأة أخرى : هذا أمر فظيع بالنسبة الى مزرعته ، فالذرة بسبيل النضج بينما المزارع فى فراشه . أما أنا

* ... * : تحذف .

فأقول : لقد استراح من الآلام التى كان يعانيها منذ مدة طويلة .

المرأة الأولى : (بصوت خفيض) ونحن الذين ظننا فى أول الأمر أنه تظاهر بالمرض وملازمة الفراش بسبب التجنيـد — تفهم ماذا أقصد ؟ والآن هاهى ذى النهاية .

الحماة : أرجوكم أن تجلسوا وتتناولوا بعض الفطائر .

(تشير الى جروشا باشارة ، الاثنتـان تذهبان الى غرفة النوم ويأخـذان من على الأرض صوانى فرن عليها فطائر . يجلس المدعوون والراهب على الأرض ويبدأون فى الثرثرة همسا)

فلاح : (عجوز جدا ، قدم اليه الراهب زجاجة أخرجها من تحت ثيابه) طفل ، هكذا تقول ؟ من أين كان فى استطاعة يوسوب أن يكون له هذا ؟

المرأة الثالثة : على كل حال ، كانت حسنة الحظ ، فلو تأخرت قليلا وهو على هذه الحال ، لكان لها شأن آخر .

الحماة : هاهم أولاء يثرثرون ويلتهمون كل فطائر الحداد ،

واذا لم يمت اليوم فعلىّ أن أخبز غدا فطائر أخرى .

جروشا : سأخبزها أنا .

الحماة : فى عشية الأمس ، حينما مر الفرسان ، خرجت لأستجلى ما فى الأمر ، ولما عدت اعتقدت أنه مات . ومن أجل هذا بعثت اليك . ومن المؤكد أن ساعته قد قاربت .

(تصغى)

الراهب : يا حضرات المعزين والمدعوين للزفاف ، اننـا نحيط بهذا السرير ، سرير الزواج وسرير الموت معا ، وقلوبنا تنفطر تأثرا ، لأن العروسة تجلس تحت تاج أزهار البرتقال ، بينما العريس يرقد فى القبر . لقد زين العريس ، والعروسة فى تمام جلوتها ، لأنه فى سرير الزفاف تتحدد وصية ، وهذا أمر بالغ العظة . واأسفاه ! ما أعجب المفارقة فى مصائر بنى الانسان ! نرى واحـدا يموت ليكون له سقف على رأسه ، والآخر يتزوج ليتحـول الجسد الى التراب الذى منه نشأ . آمين !

الحماة : (وقد تسمعت) انه ينتقم لنفسه . ما كان ينبغى لى أن أستأجر واحدا رخيصا كهذا ، انه لا يساوى أكثر من سعره . فحينما يكونون بسعر غال ، يحسنون التصرف . فى « صورا » واحد ، يتنفس أنفاس القداسة ، بيد أنه يطلب أجرا مرتفعا جدا . أما القسيس الذى أجره خمسون قرشا فليس عنده وقار ولا تقوى ، كل ما عنده منهما هو ما يساوى خمسين قرشا لا أكثر . حينما ذهبت لاحضاره من الخمارة ، كان يلقى خطبة ويصيح : « انتهت الحرب ، وهاهى ذى فظائع السلام قد أقبلت » . يجب أن نذهب الى القاعة .

جروشا : (وهى تقدم فطيرة الى ميخائيل) كُلْ فطيرتك وكن هادئا يا ميخائيل . لقد صرنا الآن ناسا كما يجب .

(تنتقلان الى الغرفة الأخرى ، وتحملان الى المدعوين صوانى الفطائر . وقد نهض المحتضر فوق سريره خلف الناموسية ، وأخرج رأسه من الخرق ، متابعا بنظره المرأتين . ثم يسقط على سريره . والراهب

أخرج زجاجتين من تحت ثيابه قدمهما الى الفلاح الجالس بالقرب منه . يدخل ثلاثة عازفين ، يحييهم الراهب بيده مبتسما ابتسامة عريضة) (١)

الحماة : (مخاطبة العازفين) ماذا تريدون بآلاتكم هذه ؟ الأخ انسطاس هناك (مشيرا الى الراهب) قال لنا ان فى هذا البيت عرْساً .

الحماة : آه ، انك تحملنى ثلاثة مدعوين جددا ؟ ألا تعرف أن شخصا يحتضر فى الغرفة المجاورة ؟

الراهب : ان الموقف فيه ما يغرى الفنان . فيمكن تخيل « مارش » سرور مخفف ، أو رقص جنائزى سريع التوقيع .

الحماة : طيب ، اعزفوا ؛ أما الأكل فكلوا ما تشاءون .

(العازفون يعزفون خليطا موسيقيا . والنسوة يدورون بصوانى الفطائر) .

الراهب : ان البوق يرن مثل تصويت الصغار ، وأنت يا صاحب الدف لماذا تضرب على الدف وكأنك تريد أن تسمع الناس على بعد عشرة فراسخ ؟

(١) م + : فتاة : الموسيقى !

الفلاح : (جالسا بالقرب من الراهب) وما رأيك اذا رفعت العروسة ساقها قليلا ؟

الراهب : الساق ، أو الفخذ ؟

فلاح عجوز : (الى جوار الراهب ، يبدأ فى الغناء) :

ان الآنسة المستديرة [1] الأرداف تزوجت رجلا عجوزا
وقالت ان الزواج هو الغاية القصوى
واذا آرادت آن تلهو فانها تتملص من عقد الزواج
والشموع تلقى بضوئها

الحماة : (الحماة تطرد السكير . تتوقف الموسيقى فجأة . تضايق المدعوين . صمت)

المدعوون : (وهم يتكلمون بصوت عال جدا) هل سمعتم ؟ ان الدوق الكبير قد عاد — غير أن الأمراء ضده — ويبدو آن شاه ايران آعاره جيشا بأكمله ، كى يقر النظام هنا .. لكن هذا مستحيل ! ان شاه ايران ضد الدوق الكبير .

---

(١) كناية عن الشباب .

ولكنه آيضا ضد الاضطراب — وعلى كل حال انتهت الحرب . وجنودنا قد عادوا فعلا .

(الصينية تسقط من جروشا)

امرأة : (مخاطبة جروشا) هل أنت مريضة ؟ انه من جراء التأثر لحال يوسوب العزيز . اجلسى يا بنيتى واستريحى .

(جروشا تظل واقفة ، وهى تترنح على ساقيها)

المدعوون : وستعود الحياة الآن الى سابق عهدها ، الا أن الضرائب ستزيد لأنه لابد من دفع ثمن الحرب .

جروشا : (بصوت ضعيف) ألم يقل أحد منكم أن الجنود عادوا ؟

أحد الرجال : بلى ، أنا .

جروشا : غير ممكن .

الرجل : (لاحدى النسوة) أرينى الشال . لقد اشتريناه من [1] أحد الجنود ، شال عجمى .

---

(١) م : من الجنود .

جروشا : (وهى تتطلع الى الشمال طويلا) لقد عادوا !

(صمت طويل . جروشا تنحنى وكأنها تلملم الفطائر . وتنتزع من دراعتها الصليب الفضى المعلق بسلسلة ، وتقبله وتبدأ فى الدعاء)

الحماة : (بينما المدعوون ينظرون الى جروشا فى صمت) ماذا بك ؟ ألا تريدين أن تهتمى بضيوفنا ؟ ماذا يعنينا من الحماقات التى يرتكبونها فى المدينة ؟

المدعوون : (وقد استأنفوا الثرثرة بصوت عال ، بينما جروشا واقفة فى مكانها تتطلع الى الأرض) وكثير من الناس يستبدلون العكازات بالسروج العجمية التى يمكن شراؤها من الجنود . ان الكبار يمكن أن يكسبوا من الحرب ، أما الجنود فيفقدونها من كلتا الناحيتين . وعلى كل حال فان الحرب قد انتهت . وهكذا لا يستطيعون أن يجندوكم بعد . (الفلاح ينهض فى المخدع ، وينصت) . ان ما كنا فى حاجة اليه فعلا هو أسبوعان آخران من الجو الحسن . ان أشجار الكمثرى لن تعطى الكثير هذا العام .

الحماة : (وهى تقدم الكعك) تناولوا قدرا آخر من الكعك ، ولا تتحرجوا ، ففيه كفاية .

(الحماة تنتقل الى غرفة النوم والصينية فارغة . لاترى المريض ، وتنحنى لتأخذ من على الأرض صينية محملة بالفطائر ، واذا بالمريض يبدأ الكلام بصوت مبحوح) (١)

يوسوب : هل ستعلفينهم مرة أخرى بالفطائر ؟ هل عندى دجاجة تبيض ذهبا ؟ (الحماة تروح وتجىء حول سريره وتنظر اليه بذهول . يشاهد وهو ينزل من السرير خلف الناموسية) هل قالوا ان الحرب انتهت ؟

المرأة الأولى : (فى الغرفة الأخرى تتحدث مع جروشا حديثا وديا) هل للعروسة الشابة أحد فى الحرب ؟

الرجل : هذا خبر سار أن شبابنا قد عادوا من الحرب ؟

يوسوب : لا تحملقى فىّ هكذا . أين المخلوقة التى علقتها فى رقبتى كزوجة ؟

(ولما لم يتلق جوابا ، خرج من المخدع ، ومضى بقدم غير ثابتة لابسا قميصه ومر أمام الحماة ودخل الغرفة الأخرى . تتبعه أمه وهى ترتعد ، وعلى يدها صينية الفرن)

(١) م + : فلاح : هل قلت ان الحرب انتهت ؟

المدعوون : (وقد شاهدوه فصاحوا مدهوشين) يا الهى ! هذا يوسوب !

(الكل ينهضون مذعورين · يتدافع النسوة للخروج · وجروشا ، وهى جاثية باستمرار، تلتفت برأسها وتتطلع الى الفلاح يوسوب بذهول)

يوسوب : مأدبة دفن ، هذا هو ما كان يلذ لكم . اخرجوا جميعا قبل أن أضربكم علقة ساخنة .

(المدعوون يتدافعون للخروج من البيت)

يوسوب : (مخاطبا جروشا ، بوجه عبوس منحوس) آه ، هذا يقضى على مشروعاتك .

(جروشا لاتحير جوابا · تتلفت وتأخذ فطيرة من الذرة من فوق الصينية التى تحملها الحماة)

المغنى :

ياله من اضطراب ! العروسة تكتشف أن لها زوجا
وفى النهار عندها الطفل ، وفى الليل عندها الزوج،
والحبيب فى الطريق يمشى ليل نهار
ينظر العريسان بعضهما بعضا ، والغرفة ضيقة جدا

(الفلاح (= يوسوب) يجلس عاريا فى برميل من الخشب ؛ والحماة تصب ماء من

ابريق · وفى الغرفة المجاورة تجلس جروشا القرفصاء مع ميشيل الذى يلهو باصلاح الحصائر)

يوسوب : [١] هذا شغلها ، وليس شغلك . الى أين ذهبت ؟

الحماة : (تنادى) جروشا ! ان الفلاح يناديك .

جروشا : (مخاطبة ميخائيل) : بقى هناك ثقبان ، فأصلحهما .

يوسوب : (وجروشا تدخل) حكّى لى ظهرى .

جروشا : ألا يستطيع الفلاح أن يفعل ذلك بنفسه ؟

يوسوب : « ألا يستطيع الفلاح أن يفعل ذلك بنفسه ؟ » خذى الفرشاة ، الى الشيطان ! هل أنت زوجتى أو زائرة ؟ (مخاطبا الحماة) : هذا بارد جدا .

الحماة : سأحضر بسرعة ماءا ساخنا .

جروشا : دعينى أذهب أنا .

يوسوب : أنت ، أنت ستبقين هاهنا ! (تعدو الحماة) حكى بشدة ، أكثر من هذا ، ولا تتخذى هذا الوضع ، فقد حدث لك أن رأيت فتى عاريا قبلى ، فابنك لم يولد من الروح القدس .

(١) م + : كلا ! هذا شغلها ·

جروشا : ان هذا الطفل ليس ثمرة الشهوة ، اذا كان الفلاح يظن هذا .

يوسوب : (يتلفت وينظر اليها بتأفف) لا يبدو عليك ذلك . (تتوقف جروشا عن الحك ، وتتراجع الى الوراء ، تدخل الحماة) لقد أتيت لى بشىء نادر ، كتلة من الثلج لا زوجة .

الحماة : ان ما ينقصها هو الارادة الخيّرة .

يوسوب : صُبّى ، ولكن حاسبى . آه ، قلت لك حاسبى ، (مخاطبا جروشا) : لن أدهش اذا كانت لك حكايات فى المدينة ، والا فلماذا أنت هنا ؟ لكنى لا أريد الكلام عن هذا . ولم أقل شيئا عن ابن الزنا الذى أتيت به فى منزلى ، لكن صبرى عليك أوشك أن ينفد . ان هذا مناف للطبع . (مخاطبا الحماة) : صُبّى أيضا ! (مخاطبا جروشا) : حتى لو عاد جنديك ، فانك متزوجة .

جروشا : نعم .

يوسوب : لكن جنديك لن يعود أبدا ، يجب أن تضعى هذا فى رأسك .

جروشا : لا .

يوسوب : انك تخونيننى . أنت زوجتى ، ولست بزوجتى . وحيث ترقدين لا يرقد أحد ، ورغم ذلك فان واحدة أخرى لا يمكن أن ترقد هناك . وحينما أذهب الى الحقل فى الصباح أموت تعبا ، وفى المساء حين أنام أستيقظ كالشيطان . لقد خلق الله لك جنسا ، ولكن ماذا تفعلين ؟ وحقلى لا يعطى ما يكفى لدفع أجرة امرأة فى المدينة . هذا فضلا عن بعد المسافة . انه مكتوب فى التقويم عندنا : « لقد خلقت المرأة لتنقية الحقل وفتح رجليها » . أتفهمين ؟

جروشا : نعم . (بصوت خفيض) يضايقنى أننى ..

يوسوب : هذا يضايقها ! صُبّى (الحماة تصب ماء) آه !

المغنى :

حينما كانت جالسة على شاطىء الماء تغسل الملابس
شاهدت انعكاسا على الموج ، وشحب الوجه
بينما الأقمار تمر

ولما صلبت قوامها لعصر الغسيل

سمعت صوتا بين الأشـجار الزافرة ، وخفت الصوت

بينما الأقمار تمر

وازادت المعـــاذير والزفرات ، وراحت تبكى

ويتصبب منها العرق

بينما الأقمار تمر ، والطفل يكبر

(على حافة نهر صغير ، جروشا مقعية تغمس الغسيل فى الماء . وعلى مسافة ــ بعض الأولاد. جروشا تخاطب ميخائيل .)

جروشا : يمكنك أن تلعب معهم ياميخائيل ، لكن لا تحاول أن تتغلب عليهم دائما ، لأنك أنت أصغرهم .

(ميخائيل يؤمن على كلامها برأسه ويذهب الى الأولاد الآخرين . ويبدأون اللعب)

الولد الأكبر : فى هذا اليوم سنلعب لعبة قطع الرأس . (مخاطبا ولدا سمينا جدا) : أنت الأمير [1] ، وأنت تضحك . (مخاطبا ميخائيل) : وأنت ، أنت الحاكم . (مخاطبا بنتا) : وأنت زوجة الحاكم ، تبكين حين يحتز رأسه . وأنا الذى أقطع الرأس

(١) م : الأمير البدين ، ويجب أن تضحك دائما .

(يشهر سيفا من خشب) بهذه الآلة . أولاً يقتاد الحاكم الى الفناء . فى المقدمة : الأمير [1] ، وفى المؤخرة : الحاكم .

(يتألف الموكب . وفى المقدمة الولد السمين ضاحكا . ثم يأتى بعده ميخائيل ثم الولد الأكبر وأخيرا البنت وهى تبكى)

ميخائيل : (متوقفا) وأنا أيضا أريد أن أقطع الرأس .

الولد الأكبر : لا ، أنا . أنت الأصغر . (*) ان دور الحاكم هو الأسهل (*) : ما عليك الا أن تجثو علــى ركبتيك وتترك رأسك يقطع . هذا ليس معقدا .

ميخائيل : وأنا أيضا ، أريد السيف .

الولد الأكبر : انه سيفى أنا [2] . (يركله بقدمه)

البنت : (وهى تنادى جروشا فى الناحية الأخرى من النهر) : انه يفسد اللعب .

جروشا : يقال عندنا : ان صغير البط عوام .

الولد الأكبر : يمكنك أن تكون الأمير ، اذا كنت تستطيع الضحك .

(ميخائيل يرفض برأسه)

(١) م + : يتبعه ثلاثة جنود .

(٢) + : اتركه .

الولد السمين : أنا أستطيع الضحك خيرا منه . اتركه يقطع الرأس مرة ، وأنت المرة التى بعدها ، وأنا بعد ذلك .

(الولد الأكبر يعطى مكرها السيف الخشب لميخائيل ويجثو على ركبتيه . يجلس الولد السمين ، ويضرب على فخذيه ، ويضحك ملء شدقيه . والبنت تبكى بصوت مرتفـــع . وميخائيل يهز السيف الكبير ، ويقطع الرأس ثم يسقط على ظهره)

الولد الأكبر : آه ! سأعلمك كيف يكون الضرب حقا !

(يهرب ميخائيل ، ويطـــارده الأولاد . وجروشا تتابعهم بنظراتها ضـــاحكة . وحينما تتلفت تشاهد سيمون شـــاشاڤا واقفا على الشاطىء الآخر من النهـــر ، وهو يلبس زيا عسكريا ممزقا) .

جروشا : سيمون !

سيمون : ألست جروشا فاشنادزى ؟

جروشا : سيمون !

سيمون : (بلهجة شبه رسمية) : بارك الله فى الآنسة ، وأعطاها صحة جيدة .

جروشا : (تنهض مسرورة وتنحنى انحناءة عميقة) بارك الله فى الجنـــدى ، والحمـــد لله على سلامتك وعودتك فى صحة جيدة .

سيمون : لقد وجدوا سمكا خيرا منى ، ولهذا لم يأكلونى ، هكذا قال المحار .

جروشا : ان صبى الطباخ يتحدث عن الشجاعة ، والبطل عن الحظ السعيد .

سيمون : وكيف الحال هنا ؟ هل كان الشتاء محتملا ، والجار كريما ؟

جروشا : كان الشتاء قارسا بعض الشىء ، والجار كالعادة يا سيمون .

سيمون : هل يحق لى أن أسأل : هل لا يزال شخص معين على عادته من وضع ساقه فى الماء وهو يغسل الغسيل ؟

جروشا : الجواب : «لا» — بسبب المختبئين فى الأشجار .

سيمون : الآنسة تتحدث عن جنود . والذى يقف أمامها برتبة رقيب كاتب .

جروشا : أليس معنى هذا عشرين قرشا زيادة ؟

سيمون : والمسكن .

جروشا : (والدموع تبلل عينيها) وراء الشكنات ، تحت النخيل .

سيمون : تماما هناك . يبدو لى أنك تطلعت هنالك .

جروشا : نعم تطلعت هناك .

سيمون : وما نسونى ؟ (جروشا تشير اشارة الانكار) اذن الأمـــور بقيت كما كانت ، كما يقـال ؟ (جروشا تنظر اليه فى صمت ، ثم تشير اشارة انكار) ما معنى هذا ؟ هل حدث شىء ؟

جروشا : يا سيمون شاشاڤا ! ليس فى وسعى العودة أبدا الى نوخا . لقد حدثت أمور .

سيمون : ماذا جرى ؟

جروشا : حدث أننى قتلت أحد الجنود .

سيمون : لابد أن جروشا ڤاشنادزى كان عندها ما يبرر ذلك .

جروشا : ثم انى يا سيمون شاشاڤا ، لا أسَمّى كما كنت أسَمّى من قبل .

سيمون : (بعد لحظة صمت) أنا لا أفهم .

جروشا : يا سيمون ! متى يغير النسوة أسماءهن ؟ دعنى أشرح لك . لم يتغير شىء فيما بيننا . ان ما بيننا قد بقى كما كان من قبل ، أرجوك أن تصدّق هذا .

سيمون : كيف ؟ لم يتغير شىء فيما بيننا ، ومع ذلك لم يبق الأمر كما كان ؟

جروشا : كيف أشرح لك هذا فى وقت قصير وبيننا هذا النهر ؟ ألا تستطيع العبور ؟

سيمون : لعل هذا لم يعد ضروريا .

جروشا : كلا بل هو ضرورى قطعا . تعال يا سيمون بسرعة !

سيمون : هل تريد الآنسة أن تقول اننى جئت متأخرا ؟

(جروشا تنظر اليه بيأس ، ووجهها تغمره الدموع . سيمون ينظر فى الخلاء ، وقد أخذ قطعة من الخشب وبدأ يقطعها)

المغنى :

كثير من الكلمات تقال ، وكثير من الكلمات لا تقال

عاد الجندى . من أين أتى ؟ انه لا يقول

اسمعوا ما فكر فيه ولم يفصح عنه :
بدأت المعركة فى الفجر ، وصارت دامية فى الظهر
الأول سقط صريعا أمامى ، والثانى من خلفى ،
والثالث الى جانبى
وطئت على الأول ، وتركت الثانى ، والثالث
شقه سيف النقيب
وأخى الأكبر مات بضربة سيف ، والأصغر بطلقة
مدفع
واتقدحت النيران فى قفاى ، وتجمدت يداى فى
القفـاز
وأصابع القدم تجمدت فى الجورب
ولم نكن نأكل غير براعم الحـور الرجراج ،
ونشرب غير عصير الجرمشق
ولا وسادة غير الحصباء ولا سرير غير مستنقعات
المـاء

سيمون : انى أرى فى العشب طاقية غلام . هل هناك شىء
صغير ؟

جروشا : صحيح يا سيمون ، وكيف أستطيع اخفاءه ؟ !
ولكن لا تعذب فكرك ، انه ليس ابنى .

سيمون : هناك مثل يقول : « حينما تهب الريح ، تهب
من كل ثقب » . ينبغى على السيدة أن لا تقول
بعد شيئا .

(جروشا تخفض عينيها ولا تقول بعد شيئا)

المغنى :

كان هناك شوق ، ولم يكن ثمّ انتظار
والقَسَم قد نقض ، ولم يُقَل ما السبب
اسمعوا ما فكرت فيه ولم تفصح عنه :
حينما كنت تقاتل فى المعركة أيها الجندى
فى المعركة الدامية ، المعركة الوحشية
وجدتُ طفلا مسكينا لا معين له
ولم يستطع قلبى أن يتخلى عنه
وكان علىّ أن أهتم بمن كان سيضيع لولاى
وكان علىّ أن أطأطىء رأسى لألملم الفتات من
الأرض
وكان علىّ أن أمزّق نفسى من أجل من ليس لى
من أجل غريب
لابد من معين
لأن الشجرة فى حاجة الى السقى

والعجل الصغير يضل اذا نام عنه الراعى
ولا يسمع صراخه أحد .

سيمون : أعيدى الىّ الصليب الذى أعطيتك اياه ، أو أحسن من هذا : ألقيه فى النهر .

(يدير ظهره ويتأهب للرحيل)

جروشا : (وقد نهضت) سيمون شاشاقا ! لا تذهب ، انه ليس ابنى ، انه ليس ابنى . (تسمع الأولاد يصيحون) ماذا هناك يا أولاد ؟

أصوات : هاهنا جنود — انهم يأخذون ميخائيل معهم !

(جروشا وقد ارتج عليها ؛ — جنديان يتقدمان نحوها ، مقتادين ميخائيل)

الجندى : هل أنت جروشا ؟ (تشير اشارةالايجاب) وهذا ، ابنك ؟

جروشا : نعم . (سيمون يذهب) يا سيمون !

الجندى : عندنا أمر من المحكمة باحضار هذا الطفل الى المدينة ، وقد وجدناه فى حراستك ، لأن ثمت شكا فى أنه ميخائيل أبشقيلى ، ابن الحاكم جورجى أبشقيلى وزوجته ناتلا أبشقيلى . وهذا هو الأمر مختوما بالأختام الرسمية .

(يأخذون الطفل)

جروشا : (وهى تجرى وراءهم صارخة) اتركوه ، أرجوكم ، انه ابنى .

المغنى :

اقتاد الجنود الطفل ، الطفل العزيز لديها
فمضت المسكينة فى اثرهم الى المدينة ، المدينة الخطرة
والأم التى من لحمه طالبت برؤية ابنها . والأم التى ربته وقفت أمام المحكمة
من ذا الذى سيفصل فى الأمر ؟ لمن يعطى الطفل ؟
ومن سيكون القاضى ؟ هل يكون قاضيا عادلا ، أو فاسدا ؟
كانت المدينة تحترق ، وعلى كرسى القضاء جلس أزدك .

— ٥ —

حكاية القاضى

المغنى :

وهذه حكاية القاضى :
كيف أصبح قاضيا ، وكيف كان يقضى بين الناس ، وأىّ نوع من القضاة كان . فى يوم أحد الفصح الذى وقع فيه التمرد الهائل وسقط فيه الدوق الكبير واحتز رأس حاكمه ، أبشقيلى ، والد صاحبنا ميخائيل .
وجد أزدك ، الكاتب العمومى فى القرية ، بين الغابات هاربا [١] أخفاه فى كوخه .

(أزدك ، مهلهل الثياب سكران ، يساعد هاربا متخفيا فى زى متسول على الدخول فى كوخه)

أزدك : لا تنهج ، فأنت لست فرسا . ولن يفيدك مع الشرطة أن تعدو مثل المخاط فى شهر أبريل .

(١) م : هاربا رفيع المقام .

توقف ، قلت لك . (يمسك بالهارب الذى كان يركض وكأنه يريد أن يمر من خلال السور المقابل) اجلس وكل لقمة ، هاهى ذى قطعة جبن . (ينتزع من تحت خرق بالية فى صندوق قطعة جُبْنة ، ويبدأ الهارب فى الأكل بشراهة) ألم تأكل شيئا منذ عهد طويل ؟ (الهارب يهمهم) لماذا جريت هكذا يا [١] .. ؟ ان الشرطى ما كان يمكنه أن يراك .

الهارب : كنت مضطرا الى ذلك .

أزدك : ياشيخ[١] ! (العجوز ينظر اليه وهو لا يفهم) وحياتك[١] ! خائف ! ايه ! لا تحدث هذه الضجة وأنت تلتهم كأنك دوق عظيم أو خنوص ! هذا يثير أعصابى . ان النتن النبيل المولد هو الذى يمكن احتماله كما خلقه الله . أما أنت ، فشىء آخر . انى أعرف حكاية قاض فى المحكمة العليا : كان حين يأكل فى السوق يضرط ليثبت أنه رجل حر . والواقع أننى حينما أنظر اليك وأنت تأكل ، تخطر ببالى خواطر مخيفة . لماذا لا تنطق ؟

(١) فى النص كلمة بذيئة جدا .

(باستفزاز) : أرنى يدك ؟ أنت فاهم ؟ أرنى يدك . (الهارب يقدم يده بحركة مترددة) بيضاء ! اذن أنت لست متسولا . أنت مزيف ، أنت نصاب متجول ! وأنا الذى أخبئك كما لو كنت شخصا محترما ! قل لى : لماذا تهيم فى الطرقات ، وأنت من ذوى الأملاك ؟ لأنك أنت من ذوى الأملاك ، لا تنكر هذا ، انى أدرك ذلك من مظهرك الآثم . (ينهض) اخرج ! (الهارب ينظر اليه حائرا) ماذا تنتظر ، يا معتصر الفلاحين ؟

الهارب : انهم يتعقبوننى . أرجو الاهتمام بى ، عندى اقتراح .

أزدك : ماذا تريد باقتراحك ؟ هذه أقصى درجات الوقاحة ! انه يريد اقتراح شىء ! ان المعضوض يخدش أصابعه حتى تدمى ، والعَلَق مصاص الدماء عنده اقتراح ! اخرج ، قلت لك !

الهارب : افهم وجهة نظرى . اقتناع . سأدفع مائة ألف قرش للمبيت ليلة ، توافق ؟

ازدك : ماذا تقصد ؟ أتظن [1] انك تستطيع شراء ذمتى ؟

(١) م : هل تحسب

بمائة ألف قرش ؟ ثمن مزرعة لا قيمة لها . لنقل مائة وخمسين ألفا . أين هى ؟

الهارب : انها طبعا ليست معى . سترسل اليك . لا تشكك فى ذلك .

ازدك : انى أشك كل الشك . اخرج !

(الهارب ينهض ويتمشى بتثاقل نحو الباب. يسمع صوت من الخارج)

اصوات : آزدك !

(الهارب يدور نصف دورة ، ويتمشى حتى الركن المقابل للغرفة ، ويقف دون حراك)

ازدك : (ينادى) : لا أريد الكلام مع أحد . (يذهب الى الباب) . هل جئت مرة أخرى تحشر أنفك يا شوقا ؟

شوقا : (فى الخارج ، بلهجة اللوم) : لقد قنصت أرنبا جبليا آخر يا آزدك . لقد وعدتنى بألا تفعل ذلك مرة أخرى .

ازدك : (بشدة) لا تتكلم عن أمور لا تفهمها يا شوقا . ان الأرنب الجبلى حيوان خطر مؤذ يأكل النبات ، خصوصا العشب الضار كما يسمونه ، ولهذا يجب ابادته .

شوقا : أزدك ! لا تكن قاسيا معى هكذا . سأفقد منصبى اذا لم اتخذ اجراء ضدك . غير أنى أعلم أن قلبك طيب .

أزدك : ان قلبى ليس طيبا . كم مرة كان علىَّ أن أقول لك وأعيد ، اننى رجل مثقف ؟

شوقا : (بلباقة) انى أعرف ذلك يا أزدك . أنت رجل عالى المستوى ، وأنت نفسك تقول هذا . لكنى وأنا (١) رجل ساذج غير متعلم أسألك : اذا سرق انسان أرنبا من الأمير وأنا فى الشرطة ، فماذا يجب علىّ أن أفعله مع الجانى ؟

أزدك : شوقا ، شوقا ، يجب أن تخجل من نفسك . أنت تقف أمامى وتسألنى سؤالا ، وليس أخبث من هذا السؤال . مثلك فى هذا مثل امرأة ولتكن نونوقنا ، الفتاة السائبة ، وتكشف لى ، مادمت أنت نونوقنا ، عن ساقك وتسألنى : « ماذا أعمل اذا كان فخذى يأكلنى ؟ » هل هى بريئة كما تتظاهر ؟ لا . وأنا آخذ أرنبا ، وأنت

---

(١) م : بوصفى مسيحيا وغير متعلم.

تأخذ رجلا . والرجل قد خلقه الله على صورته ، أما الأرنب فلا ، وأنت تعرف ذلك . أنا آكل الأرانب ، أما أنت فتأكل الناس ، وسيكون الله حاكما بيننا . يا شوقا ! اذهب الى بيتك واستغفر الله . لا ، قف ! لعل عندى شيئا من أجلك . (يلقى نظرة الى الهارب الذى توقف وهو يرتعد) . الواقع لا ، لا شىء من أجلك . اذهب الى بيتك واستغفر الله . (يغلق الباب فى وجهه . مخاطبا الهارب) : أنت مندهش — أليس كذلك ؟ — لأننى لم أسلّمك . لكن هذا الشرطى الجلف الغليظ ، لا أستطيع أن أسلمه حتى ولا بَقّة ، فهذا لا يتفق مع طبعى . لا ترتعد أمام شرطى . أتكون جبانا فى مثل سنك ؟ افرغ من الجُبْنة ، متخذا مظهر الفقر ، والا قبضوا عليك فى النهاية . وهل علىّ أيضا أن أبيّن لك كيف يسلك الفقير ؟ (يحمله على الجلوس ويضع قطعة الجُبْنة فى يده) . الصندوق يمثل المائدة . فضع كوعيك على الصندوق ، وبيديك احتضن الجبنة على صحنك ، وكأنهم سيحاولون

انتزاعها منك فى كل لحظة ، والا فمن يضمن لك ألا يحدث العكس ؟ ! وأمسك بالسكين كأنها شرشرة صغيرة . ولا تكن نظرتك طماعة ، بل مهمومة ، لأن جبنتك آخذة فى الزوال ، شأنها شأن كل ما هو جميل . (يتطلع اليه) انهم يطاردونك ، وهذا فى صالحك ، ولكن كيف نعرف أنهم لن يخدعوا عنك ؟ ذات مرة فى تفليس حدث أنهم شنقوا مالكا كبيرا ، تركيا . وقد استطاع أن يثبت لهم أنه قطع فلاحيه أربعة أرباع ، لا نصفين كما هى العادة ، وجعلهم يدفعون الضرائب أكثر بمقدار مرتين من الآخرين ، وكانت حماسته فوق كل شبهة ، ورغم ذلك فقد شنقوه كأنه مجرم ، لا لشىء الا لأنه تركى ، وهو أمر لم يكن له ذنب فيه . لا توجد عدالة . لقد علق فى المشنقة وهو برىء منها براءة الذئب من دم يوسف . والخلاصة أنك لا تثير فى نفسى الثقة .

المغنى :

وهكذا آوى أزدك المتسولَ العجوز فى تلك الليلة
ولما عرف أنه هو الدوق الكبير نفسه ، هذا الثعبان ،

خجل من ذاته واتهم نفسه ، وطلب من الشرطة
أن يقتادوه الى نوخا ، ليحاكم أمام المحكمة

(فى قاعة المحكمة ، ثلاثة جنود يشربون وهم جالسون على أعقابهم . وفى عمود شنق رجل فى ثوب القاضى . يدخل أزدك مقيدا بالأغلال ، وراء شوقا)

أزدك : (صائحا) : لقد ساعدتُ الدوق الكبير على الهرب ، هذا اللص الكبير ، هذا الثعبان الخبيث ! وانى أطالب بالحكم علىّ بأقسى العقوبة ، فى محاكمة علنية ، باسم العدالة .

الجندى الأول : من هذا الطائر العجيب ؟

شوقا : انه الكاتب [1] العمومى ، أزدك .

أزدك : أنا المنحط ، الخائن ، الموسوم الجبين بوصمة العار ! اكتب يا ممسوح القدم أننى طالبت بأن أُقتاد الى العاصمة مغلولا [2] ، لأننى من غير احتياط آويت الدوق الكبير — أو الوغد الكبير — كما تبيّن لى ذلك بعد فوات الأوان ،

(١) م : انه كاتب القرية العمومى .

(٢) م : مقيدا بالحبال .

بفضل هذه الوثيقة التى وجدتها فى كوخى . (الجنود يفحصون الوثيقة . أزدك مخاطبا شوقا) : انهم لا يعرفون القراءة ! ولاحظوا أن هذا الموسوم الجبين يتهم نفسه بنفسه . أكتب التقرير وأثبت فيه أننى اضطرتك الى الركض حتى هنا معى طوال نصف ليلة ، حتى يتضح كل شىء .

شوقا : وكل هذا مع التهديدات ، ان هذا ليس لائقا صدوره عنك يا أزدك .

أزدك : أَغْلِق فمك يا شوقا ، فأنت لا تستطيع أن تفهم . لقد أصبحنا فى عصر جديد سيسحقك كالصاعقة ، لقد قُضى عليك ، وسيقضى على الشرطة . سيفحص كل شىء علنا فى وضح النهار. فمن الأفضل للانسان أن يعلن عما ارتكب هو بنفسه ، لأن المرء لا يمكنه أن يفر من عين الشعب الساهرة . اكتب فى تقريرك أننى كنت أصيح فى كل شارع الاسكافية قائلاً (يمثل المنظر بحركات ضخمة ، وهو يتلفت الى الجنود) : « لقد تركت الوغد الكبير يهرب ، جهلا منى بذلك . مزقونى ، يا اخوانى » ، لنسابق تتابع الأحداث .

الجندى الأول : وبماذا أجابوك ؟

شوقا : فى شارع الجزارين واسوه ، وفى شارع الاسكافية ضحكوا عليه كل الضحك ، وهذا كل ما فى الأمر .

أزدك : لكن الأمر معكم غير ذلك ، لأنى أعلم أنكم رجال أشداء . يا اخوانى ، أين القاضى ؟ لابد من فحص كل تصرُّفاتى .

الجندى الأول : (مشيرا الى المشنوق) انه هنا ، القاضى . وكُفَّ عن تلقيبنا بلقب « اخوانى » ؛ فى هذا المساء هذه الكلمة تجرح الآذان .

أزدك : « انه هنا ، القاضى » . هذا جواب لم يُسمع أبدا فى جورجيا . يا أبناء المدينة ! أين صاحب السعادة ، أين الحاكم ؟ (يشير الى المشنقة) أيها المسافر ، ان سعادته هنا . أين المدير العام للضرائب ؟ وأين مدير عام التجنيد ؟ وأين المطران ؟ ومدير الشرطة ؟ هنا ، هنا ، الجميع هنا ! هذا يا اخوانى هو ما توقعته منكم .

الجندى الثانى : لحظة ! ماذا توقعت أيها الطائر ؟

أزدك : ما شوهد فى فارس ، يا اخوانى ، ما شوهد فى فارس .

الجندى الثانى : وماذا شوهد فى فارس ؟

أزدك : كان ذلك منذ أربعين سنة . الكل شنقوا ! الوزراء وجباة الضرائب . وقد شاهد جدّى هذا ، وكان رجلا عجيبا . طوال ثلاثة أيام ، فى جميع النواحى .

الجندى الثانى : ولما شنق الوزير — من الذى حكم ؟

أزدك : فلاح .

الجندى الثانى : ومن الذى كان على رأس الجيش ؟

أزدك : جندى ، يا سيدى الجندى .

الجندى الثانى : ومن ذا الذى دفع مرتبات الجنود ؟

أزدك : صبّاغ . صباغ هو الذى دفع المرتبات .

الجندى الثانى : [1] ألم يكن بالأحرى ناسج سجاد ؟

الجندى الأول : ولماذا حدث هذا كله ، أيها الفارسى !

أزدك : لماذا حدث هذا كله ؟ هل يجب أن يكون هناك

(١) م + : صباغ ؟ ألم ...

سبب خاص لهذا ؟ لماذا تحك نفسك يا أخى ؟ الحرب ! الحرب منذ عهد طويل ! ولا عدالة ! ان جدّى قد أتى معه بأغنية تعبّر عما جرى هناك [1] . سأغنيها لكم أنا وصديقى الشرطى [2] (مخاطبا شوقا) : وآمسك الحبل جيدا ، فهذا يناسب المقام .

(يغنى ، بينما شوقا يمسك بالحبل)

لماذا لا تجرى الدماء من أبنائنا بعد ، ولماذا لا تبكى بعدُ الفتيات ؟
ولماذا لا ترى دماء ، غير تلك التى تُهْراق من العجول فى المذابح ؟
ولماذا لا تذرف دموع فى الفجر غير دموع الصفصاف على بحيرة أورمية ؟
ان الامبراطور يريد مقاطعة جديدة ، والفلاح يجب أن يدفع المال الذى حصّله من اللبن .
حتى يفتح سقف العالم ، يُهدم سقف الكوخ .
ورجالنا يجرون الى أنحاء الدنيا من أجل أن يستمتع الكبار دون أن ينتقلوا من مكانهم [3]

(١) م + : قبل الثورة الكبرى . (٢) م + : هل تريدان ؟
(٣) م + : انهم لايعرفون العد حتى ثلاثة ، ولكنهم يلتهمون ثمانية أطباق .

يعَضُّ قرش الأرملة ليرى هل يصلح للخزانة ،
لكن السيف ينكسر عند أول اصطدام
خسِرَت المعركة ، ودُفع ثمن الخوذات
هل الأمر كذلك ؟ هل الأمر كذلك ؟

شوقا : نعم ، نعم ، نعم ، نعم ، نعم ، هو كذلك حقا .

***أزدك** : أتريد أن تسمع الختام ؟ (*)

(الجندى الأول يشير اشارة الموافقة)

الجندى الثانى : (مخاطبا شوقا) : هل علّمك الأغنية ؟

شوقا : طبعا ، لكن صوتى ليس جميلا .

الجندى الثانى : هذا ، لا . (مخاطبا أزدك) : استمر فى غنائك .

أزدك : ان المقطع الثانى يتحدث عن السلام .

(يغنى :)

الوظائف الكبرى مشغولة ، والموظفون فاضوا
حتى الشارع
والأنهار تغمر الشطئان وتتلف كل ما فى الحقول
ومن لا يستطيعون خلع ملابسهم بأنفسهم
يتحكمون فى امبراطوريات

* ... * : تحذف .

(*) انهم لا يقدرون على العد حتى أربعة ،
ولكنهم يلتهمون ثمانية أطباق (*)
ان زُراع الذرة يبحثون عن مشترين ، ولكنهم
لا يرون غير موتى من الجوع
والنساجون يلبسون خرقا بالية وهم راجعون
من مناسجهم
هل الأمر كذلك ؟ هل الأمر كذلك ؟

شوقا : نعم ، نعم ، نعم ، نعم ، هو كذلك حقا .

أزدك : ولهذا لا تجرى الدماء من أبنائنا بعد ، ولا تبكى بعد الفتيات .
ولهذا لا ترى دماء غير تلك التى تراق من العجول فى المذابح .
ولهذا لا تذرف دموع فى الفجر غير دموع الصفصاف على بحيرة أورمية .

الجندى الأول : (بعد فترة صمت) وأنت تريد أن تغنّى هذه الأغنية هنا ، فى هذه المدينة ؟

أزدك : وأى ضرر فى هذا ؟

الجندى الأول : ألا ترى الحمرة هناك ؟ (أزدك يتلفت . ترى

* ... * : تحذف .

فى السماء حمرة حرائق) هذا فى الضواحى . فى هذا الصباح ، حينما قطع الأمير كازبكى رأس الحاكم ابشقيلى ، أصاب عمالَ النسيج عندنا فى ورش النسيج « الوباءُ الفارسى » ، وتساءلوا : وهل الأمير هو الآخر لا يلتهم أطباقا كثيرة جدا ؟ وفى الظهر شنقوا قاضى المدينة . ولكننا سحقناهم بسعر قرشين عن كل نسّاج ، فاهم ؟ (1)

أزدك : (بعد قليل من الصمت) فاهم .

(يتطلع فيهم خائفا ، وينتقل متسللا الى الجانب الآخر من المسرح ويجلس على الأرض، ورأسه بين يديه)

الجندى الأول : (مخاطبا الثالث ، بعد أن شرب الجميع) والآن سترى .

(يتقدم الجنديان الأول والثانى ناحية أزدك ويعترضان خروجه)

شوقا : يا سادتى الحراس ، اننى لا أعتقد أنه رجل شرير بطبعه . انه يسرق بعض الدجاج ، وأحيانا ربما يسرق أرنبا .

(1) م + : انه مثير اضطرابات لم ير له من قبل مثيل . انه أتى الآن الى العاصمة ليصطاد فى الماء العكر .

الجندى الثانى : (متوجها الى أزدك) حينما أتيت الى هنا ، كنت تتحين الفرصة للصيد فى الماء العكر ، أليس كذلك ؟

أزدك : (رافعا بصره اليه) لا أعرف بعد لماذا أتيت الى هنا .

الجندى الثانى : هل أنت واحد من المتآمرين مع النساجين ؟ (أزدك يهز رأسه) ومن أين لك بهذه الأغنية ؟

أزدك : جدّى لقننى اياها ، وكان رجلا بسيطا جاهلا .

الجندى الثانى : صحيح . وحكاية الصبّاغ الذى يدفع المرتبات ؟

أزدك : لقد كان ذلك فى بلاد فارس .

الجندى الأول : وماذا عن اتهامك نفسك بنفسك بأنك لم تشنق الدوق الكبير بيديك ؟

أزدك : ألم أقل لكم اننى تركته يهرب ؟

شوقا : أنا أشهد بذلك . لقد تركه يهرب .

(الجنود يجرون أزدك الى المشنقة رغم صيحاته . ثم يطلقون سراحه ويقهقهون . يشاركهم أزدك فى الضحك ويزداد اغراقا فى الضحك أكثر منهم . تفك قيوده . يأخذ الجميع فى الشرب . يدخل الأمير البدين بصحبة شاب)

الجندى الأول : ها هو ذا قادم" ، عصرك الجديد .

(ضحك من جديد)

الأمير البدين : ماذا هناك مما يثير الضحك يا أصدقائى ؟ اسمحوا لى بكلمة جادة . فى صبيحة الأمس أسقط أمراء جورجيا النظام العسكرى الذى أقامه الدوق الكبير ، وطردوا حكامه . ولسوء الحظ استطاع الدوق الكبير أن يفر . وفى هذه الساعة الحافلة بالمقادير لم يتورع النساجون فى ورش السجاد ، مثيرو القلاقل الدائمون هؤلاء ، عن القيام بثورة وشنق قاضى المدينة ، الّو أوربليانى العزيز علينا ، المحبوب من الناس جميعا . يا أصدقائى ! نحن نريد السلام ، السلام ، السلام فى جيورجيا . السلام ، والعدالة ! وانى أقدّم اليكم بزرجان كازبكى المحبوب ، ابن أخى ، وهو شاب له مستقبل عظيم ، وسيكون هو القاضى الجديد . وأقول : ان الشعب هو الذى يقرر .

الجندى الأول : (١) هل معنى هذا أننا نحن الذين نختار القاضى ؟

الأمير البدين : نعم . الشعب يرشح مرشحا صالحا (٢) . تشاوروا فى هذا يا أصدقائى . (بينما الجنود يتشاورون فى الأمر) اطمئن أيها الثعلب الصغير ، فالمنصب لك . حتى اذا ما قبضنا على الدوق الكبير فلن نكون بعد فى حاجة الى استرضاء هؤلاء السوقة .

الجنود : (فيما بينهم) ان سراويلهم مبتلة لأنهم لم يقبضوا بعد على الدوق الكبير — واننا لندين بهذا لكاتب القرية هذا ، الذى تركه يهرب — انهم لا يشعرون بعد أنهم استتب لهم الأمر ، ولهذا يقولون : « يا أصدقائى » ، و « الشعب هو الذى يقرر » — بل انه يريد العدالة حتى لجيورجيا . ولكن المهزلة هى المهزلة ، وهذه ستكون مهزلة — سنسأل كاتب القرية وهو يعرف كل شىء عن العدالة . اسمع يا متشرد ، هل توافق على تعيين ابن أخى الأمير قاضيا ؟

---

(١) م : هل معنى هذا أننا نحن الذين سنعين القاضى ؟
(٢) م + : وأنتم الذين تصدرون قرار تعيينه .

أزدك : أنت توجه السؤال الىّ ؟

الجندى الأول : (يستأنف الكلام) هل توافق على تعيين ابن أخى الأمير قاضيا ؟

أزدك : أنت توجه الىّ هذا السؤال ؟ ليس الىّ يوجه هذا السؤال ، أليس كذلك ؟

الجندى الثانى : ولِمَ لا ؟ أى شىء من أجل هذه الفكاهة !

أزدك : أعتقد أنى أفهمكم : انكم تريدون أن تعرفوا ما فى ضميرى . هل أنا على صواب فى هذا الاعتقاد ؟ هل لديكم مجرم وتريدون أن تختبروا هذا المرشح ماذا سيفعله به ، مجرم عتيق ؟

الجندى الثالث : لنرَ . ان لدينا فى السجن طبيبى الحاكم الوغد . وهما اللذان سنشنقهما .

أزدك : لحظة ، هذا مستحيل . انكم لا تستطيعون أخذ مجرمين حقيقيين قبل تعيين القاضى . وحتى لو كان ثورا ، فلابد أولا من تعيينه ، والا لكان فى ذلك انتهاك للقانون ، والقانون حساس جدا ، يكاد يشبه الطحال ، ويجب ألا يلكم المرء الطحال والا مات الملكوم فى الحال.

وفى وسعكم أن تشنقوا هذين الشخصين(١) ولا يكون فى ذلك انتهاك للقانون ، لأن ذلك لم يتم بحضور قاض . والقانون دائما يجب أن يطبق بكل جد ، انه أبله تماما . فمثلا ، حينما يحكم القاضى على امرأة بالسجن لأنها سرقت رغيفا من الذرة لتطعم ولدها الصغير ، ويكون غير لابس ثوبه الخاص بالقضاء ، أو يهرش وهو ينطق بالحكم حتى يتعرى أكثر من ثلث بدنه ، من أجل أنه لابد له أن يهرش فخذه ، فان الحكم يكون معرّة ، وينتهك القانون بذلك . وعلى أسوأ تقدير يمكن ثوب القضاء وطاقية القاضى أن ينطقا بالحكم أولى من رجل بغير بزة . والقانون لا يهتم أبدا ، حينما لا يأخذ المرء حذره تماما . وحينما تريد أن تذيق الخمر ، لا تعطِه لكلب والا شربه كله .

الجندى الأول : اذن ماذا تقترح أيها المتحذلق ؟

أزدك : سأقوم بدور المتهم ، وأنا أعلم مقدما أى متهم .

(يهمس فى آذانهم بكلمة)

(١) م : الطبيبين .

الجندى : أنت ؟

(يضحكون ضحكة هائلة)

الأمير البدين : ماذا قررتم [1] ؟

الجندى الأول : لقد قررنا القيام بتجربة . وسيقوم صديقنا هذا بدور المتهم ، وهذا كرسى للمرشح .

الأمير البدين : هذا مخالف للعرف ، ولكن لِمَ لا ؟ (مخاطبا ابن أخيه :) هذه مجرد شكليات ، أيها الثعلب . ماذا تعلمت فى المدرسة : من الذى يصل : الذى يجرى ببطء ، أو الذى يجرى بسرعة ؟

ابن الأخ : الذى يدخل متسللا بهدوء ، ياعم أرسين .

(ابن الأخ يجلس على الكرسى ، والأمير البدين واقف خلفه . والجنود يجلسون على السلالم . أزدك يدخل ماشيا مشية الدوق الكبير)

أزدك : هل هنا من يعرف من أنا ؟ أنا الدوق الكبير .

الأمير السمين: من هذا ؟

الجندى الثانى : انه الدوق الكبير . انه يعرفه حقا .

الأمير السمين: ليكن .

(١) م + : ، يا أصدقائى ؟

الجندى الأول : ابدأوا المحاكمة اذن .

أزدك : سمعت أننى متهم باثارة الحرب . هذا عجيب ، لقد قلت : عجيب . هل هذا يكفى ؟ ان لم يكف ، فقد أحضرت محامين ، وأعتقد أن عندى خمسين. (يشير خلفه اشارة أن عنده عددا كبيرا من المحامين حوله) واحتاج الى جميع المقاعد الموجودة لجلوس المحامين .

(الجنود يضحكون . وكذلك يضحك الأمير البدين)

ابن الأخ : (مخاطبا الجنود) : أتريدون منى أن أحكم فى هذه القضية ؟ يجب أن أقول اننى أجدها قضية غير مألوفة على الأقل ، أعنى فيما يتصل بالأسلوب .

الجندى الأول : استمر .

الأمير البدين : (باسما) : ابذل كل جهدك ياثعلب .

ابن الأخ : حسنا . شعب جورجيا ضد الدوق الكبير . ماذا تقول فى هذا أيها المتهم ؟

ازدك : أشياء كثيرة . لقد قرأت طبعا أننا خسرنا الحرب .

لقد أعلنت الحرب بناء على مشورة ناس وطنيين مثل توتتون كازبكى . أطلب سماع شهادة توتتون كازبكى .

(الجنود يضحكون)

الأمير البدين : (بسذاجة ، مخاطبا الجنود) : هذا هائل ، أليس كذلك ؟

ابن الأخ : الطلب مرفوض . لا يمكن طبعا اتهامك بأنك أعلنت الحرب ، فهذا أمر يجب على كل رجل دولة أن يقوم به بين الحين والحين ، وانما أنت متهم بأنك أسأت ادارة الحرب .

ازدك : أبدا . انى لم أدرها مطلقا — لقد أمرت بادارتها ، أمرت الأمراء بادارتها . وقد أخفقوا جميعا ، طبعا .

ابن الأخ : هل تستطيع أن تنكر أنك كنت القائد الأعلى ؟

أزدك : أبدا . لقد كانت لى دائما القيادة العليا . (*) فأنا منذ ولدت ، كنت أصفر لنداء المربية (*) . وربيت على القاء برازى عند الباب . ان من

---

* ... * : تحذف .

عادتى أن آمر . كنت دائما آمر أمنائى أموالى أن يسرقوا خزائنى . وكان الضباط لا يهينون الجنود الا بأمر منى ؛ وكان أصحاب الأملاك لا ينامون مع الفلاحات الا بأمر منى صريح . توتتون كازبكى هناك ، أصبح له كرش بأمر منى .

الجنود : (يصفقون) : انه رائع ! براڤو أيها الدوق الكبير .

الأمير البدين : ياثعلب ، أجب عليه ، وسأساعدك .

ابن الأخ : سأجيب عليه ، وباللهجة التى تتناسب ووقار المحكمة . أيها المتهم ، احترم وقار المحكمة .

أزدك : موافق . وآمرك بأن تتابع الاستجواب .

ابن الأخ : ليس لك أن تأمرنى بشىء . وأنت اذن تدعى أن الأمراء أرغموك على اعلان الحرب . فكيف تستطيع أن تدعى بعد ذلك أنهم أفسدوها ؟

أزدك : انهم لم يرسلوا عددا كافيا من الرجال ، واختلسوا الأموال العامة ، ووردوا خيولا مريضة ، وكانوا يعربدون فى بيوت الدعارة أثناء الهجوم . انى أطلب سماع شهادة توتتون كازبكى .

ابن الأخ : هـل تريد أن تؤكد أن أمراء هـذه البـلاد لم يحاربوا ؟ هذا توكيد فاضح .

أزدك : كلا ، لقد حاربوا ، حاربوا من أجل الحصول على عقود التوريد .

الأمير البدين : (منتفضا) هذا كثير . ان هذا الصعلوك يتكلم كأنه نساج .

أزدك : صحيح ؟ انما قلت الحقيقة فقط .

الأمير البدين : اشنقوه ! اشنقوه !

الجندى الأول : لا تنفعل ! استمر ياصاحب السمو .

ابن الأخ : صمت . سأصدر الحكم الآن : يشنق المتهم ، من رقبته . لقـد خسرت الحرب . صـدر الحكم ، ولا يقبل الطعن .

الأمير البدين : (باضطراب وعصبية) : جروه ! جروه ! جروه !

أزدك : أيها الشاب ! أنصحك بحزم ألا تنزلق علانيةالى لغة حادة قاطعة . انك لا تستطيع أن تنال مركز كلب الحراسة اذا كنت تعوى كالذئب . مفهوم ؟

الأمير البدين : اشنقوه !

ازدك : لو* سمع الناس أن الأمراء يتكلمون بلهجة الدوق الكبير لشنقوا الدوق الكبير ومعه الأمراء ، ومن ناحية أخرى فاننى ألغى الحكم . والسبب هو أن الحرب خُسرت ولكن ليس بالنسبة الى الأمراء ، فان الأمراء قد كسبوا معركتهم . لقد دُفع لهم مبلغ ثلاثة ملايين وثمانماية وثلاثةوستين ألف قرش لخيول لم يوردوها !

الأمير البدين : اشنقوه !

ازدك : وثمانية ملايين ومائتين وأربعين ألف قرش لتموين الجنود بمؤونة لم يسلموها !

الأمير البدين : اشنقوه !

ازدك : ولهذا فانهم هـم المنتصرون . ان الحُـرب لم تخسرها الا جيورجيا ، وهى غير ممثلة أمام هذه المحكمة .

الأمير البدين : أعتقد ، يا أصدقائى الأعزاء ، أن فى هذا الكفاية (مخاطبا أزدك) : يمكنك أن تمضى من هنا ،

---

* ... * تحذف .

يا فريسة المشنقة . (مخاطبا الجنود) : أعتقد الآن يا أصدقائى الأعزاء أنكم تستطيعون التصديق على تعيين القاضى الجديد .

الجندى الأول : نعم ، نستطيع ، أنزلوا ثوب القاضى . (يصعد رجل على ظهر الآخر وينتزع الثوب من المشنوق) والآن (مخاطبا ابن الأخ) : اذهب ، وليحتل الشخص الصالح المكان الصالح . (مخاطبا أزدك) : وأنت ، تعال هنا ، وخذ مكانك على كرسى القضاء . (يتردد أزدك) . أصعد وأجلس، يا رجل (الجنود يدفعون أزدك نحو الكرسى) . لقد كان القاضى دائما خرْجا ، فليكن الخرج الآن هو القاضى . (يلبسونه ثوب القضاء ، ويضعون على رأسه سلّة زجاجات) . انظروا ، أى قاض !

المغنى :

اندلعت نيران الحرب الأهلية فى البلاد ، والمتولى
للحكم غير آمن ونصب الجنود أزدك قاضيا .
وبقى أزدك قاضيا لمدة عامين .

المغنى والعازفون :

ولما اشتعلت الحرائق الكبيرة

وسالت الدماء فى المدن
ومن الأعماق خرجت الخنافس والصراصير
وعلى باب القصر يقف جزار
وعلى المذبح يقف كافر بالله
وأزدك يجلس بثوب القضاء .

(أزدك يجلس على كرسى القضاء ، وهو يقشر تفاحة . وشوشا يكنس القاعة .. وفى ناحية يجلس عاجز على كرسى ذى عجل ، ويقف الطبيب وشخص أعرج ، وفى الناحية الأخرى شاب متهم بالتهديد لابتزاز الأموال. وجندى وقف يحرس حاملا علم فرقته)

أزدك : نظرا الى كثرة عدد القضايا فان المحكمة ستنظر فى كل قضيتين مرة معا . وقبل أن تبدأ المحكمة هناك تبليغ قصير : انى أحصل الرسوم . (يمد يده . فلا يخرج نقودا غير مبتز الأموال الذى أخرج نقودا من كيسه وأعطاها للقاضى) . واحتفظ لنفسى باتخاذ العقوبات ضد الحاضرين[1] (ينظر الى العاجز) بسبب اهانة المحكمة . (مخاطبا الطبيب) : أنت طبيب

(١) م : الطرفين المتنازعين .

(مخاطبا العاجز) وأنت تتهمه . هـل الطبيب مسئول عما أنت فيه ؟

العاجز : طبعا . لقد أصبت باحتقان بسببه .

أزدك : لابد أن ذلك عن اهمال فى ممارسة مهنته .

العاجز : أكثر من اهمال . لقد سلفت هذا الشخص نقودا ليتيسر له أن يتعلم . ولكنه لم يرد مليما واحدا ، وحينما علمت أنه يعالج الزبائن مجانا ، أصبت بهذه الاصابة .

أزدك : كان ذلك طبيعيا . (مخاطبا الأعرج) : وأنت ، ماذا تفعل ها هنا ؟

الأعرج : أنا الزبون ، ياحضرة القاضى .

أزدك : انه عالج رجلك طبعا ؟

الأعرج : لم يعالج الرجل المطلوب علاجها . لقد كنت مصابا بالروماتيزم فى الناحية الشمال ، وعمِلت لى العملية فى الناحية اليمين ، ولهذا أنا أعرج .

أزدك : وكان ذلك مجانا ؟

العاجز : عملية تكلف خمسماية قرش ، يقوم بها مجانا ،

مقابل لاشىء . لله . وأنا الذى دفعت له مصروفات الدراسة . (مخاطبا الطبيب) : هـل علموك فى المدرسة أن تقوم بالعمليات مجانا ؟

الطبيب : يا حضرة القاضى ! قبل اجراء العملية جرى العرف على تقاضى الأتعاب ، نظرا الى أن الزبون يكون أحسن مزاجا وأكثر استعدادا للدفع قبل العملية منه بعـدها ، وهـذا أمر صحيح من الوجهـة النفسيـة . وفى المسألة التى نحن بصـددها ، اعتقدت ، فى اللحظـة التى بدأت فيها اجـراء العملية ، أن مساعدى قد قبض الأتعاب . وقد أخطأت فى هذه النقطة .

العاجز : أخطأ ! الطبيب الحاذق يجب ألا يخطىء أبدا . قبل اجراء العملية يجب عليه أن يفحص الحالة .

أزدك : هذا صحيح . (مخاطبا شوفا) : ما مضـمون القضية الأخرى يا حضرة وكيل النيابة ؟

شـوفا : (وهو يكنس بقوة وحماسة) : التهديد لابتزاز الأموال .

المتهم بالتهديد للابتـــزاز : أيتها المحكمة الموقرة ، أنا . برىء كل ما حدث

هو أننى أردت أن أعرف من المالك المذكور فى الدعوى هل هو فعلا اعتدى على عفاف ابنة أخيه بالاكراه . فأخبرنى بكل لطف أنه لم يحصل شىء من هذا ، أمّا النقود فقد أعطانيها لأدفع لعمى مصروفات دراسته للموسيقى .

أزدك : آه ، طيب ! (مخاطبا الطبيب) : وأنت أيها الطبيب ، ألا تستطيع أن تذكر ظرفا مخففا بالنسبة الى غلطتك هذه — أليس كذلك ؟

الطبيب : الظرف المخفف هو أنه من الطبيعى أن يخطىء الانسان .

أزدك : ألا تعلم أن الطبيب الحاذق عنده شعور بالمسئولية حينما يتعلق الأمر بالنقود ؟ لقد سمعت حكاية طبيب كسب ألف قرش من أصبع موجوع ، لأنه اكتشف أن لهذا علاقة بالدورة الدموية ، وهو أمر ربما لم يستطع أن يكتشفه طبيب آخر أقل منه حذقا ؛ ومرة أخرى ، بعلاج منظم استخرج ذهبا من كبد عادية تماما . انك لا عذر لك ، يا دكتور . ان تاجر الحبوب ، أوكسو ،

جعل ابنه يدرس الطب ليتعلم التجارة ، لأن كليات الطب عندنا ممتازة . (مخاطبا مبتز الأموال) ما اسم هذا المالك ؟

شبوفا : نه يرجو عدم **ذكر اسمه .**

أزدك : سأنطق بالأحكام اذن • قررت المحكمة ثبوت تهمة التهديد لابتزاز الأموال . (مخاطبا العاجز :) أما أنت فقد حكمت المحكمة عليك بغرامة قدرها ألف قرش . فاذا أصبت مرة أخرى ، فان الدكتور سيعالجك مجانا ، مع البتر عند اللزوم . (مخاطبا الأعرج) : أما أنت فقد حُكم لك بتعويض عبارة عن زجاجة ماء حياة من النوع الجيد . (مخاطبا المبتز) :وأنت يجب عليك أن تدفع نصف أتعابك للسيد وكيل النيابة نظير شكر المحكمة على عدم ذكر اسم المالك الذى تعرفه ، والمحكمة تنصحك الى جانب ذلك بدراسة الطب ، نظرا الى استعدادك لهذه المهنة . وأنت أيها الطبيب ! بسبب خطئك المهنى الذى لا يغتفر قررنا براءتك . **هات** القضايا التالية !

المغنى :

الغالى ثمنه غالى

والغالى لا يُبالى

والعدل كالقط فى الزكيبة

لهذا نحن فى حاجة الى طرف ثالث

يسوى المتلوى

وهذا ما يفعله أزدك دون أن تبذل نقودك .

(يخرج أزدك من خان على الطريق العـــام ، يصحبه صاحب الخان العجوز ذو اللحية . وخلفهما الخـــادم وشوقا يجـــران كرسى القاضى . وجندى يقف للحراسة حاملا عـلم فرقته)

أزدك : ضعه هنا ، فهنا بعض الهواء ، ويهب علينا نسيم من خميلة أشجار الليمون هذه . وانه لمن الخير للعدالة أن تحكم فى الهواء الطلق . فان الريح ترفع تنورتها فيمكن رؤية ما هو مخبأ هناك . شوقا ! لقد أكلنا كثيرا . وهذه الجولات منهكة . (مخاطبا صاحب الخان) : المسألة تتعلق بزوجة ابنك ؟

صاحب الخان : يا صاحب العظمة ! الأمر يتعلق بشرف الأسرة .

وآنا أتقدم بهذه الشكوى نيابة عن ابنى المسافر لأشغاله فى الناحية الأخرى من الجبل ، هذا هو الخادم الذى ارتكب الجريمة ، وهذه زوجة ابنى الجديرة بالرثاء .

(زوجة الابن ، وهى امرأة بدينة ، تتقدم ، وعلى وجهها نقاب)

أزدك : (وهو يجلس) هأنذا أتقاضى الرسوم . (صاحب الخان يعطيه نقودا وهو يتنهد) . حسنا ، هـذا يسوى الشكليات . هل القضية فسق بالاكراه ؟

صاحب الخان : يا صاحب العظمة ! لقد فاجأت هذا الولد فى الاسطبل ، لما جندل لودوفيكا على التبن .

أزدك : نعم ، الاسطبل . خيول عظيمة . وقد أعجبنى خصوصا مهر هناك .

صاحب الخان : طبعا ، بالنيـــابة عن ابنى ، طلبت فى الحـــال من لودوفيكا أن تصرح لى بكل ما حدث .

أزدك : (بلهجة الجد) قلت : « انه أعجبنى » .

صاحب الخان : (ببرود) صحيح ؟ — لقد اعترفت لى لودوفيكا أن الخادم أرقدها ضد ارادتها .

أزدك : ارفعى نقابك يالودوڤيكا . (ترفع نقابهـا) . يالودوڤيكا ، أنت تعجبين المحكمة . قولى لنا ماذا حدث .

لودوڤيكا : (وكأنها تتلو كلاما محفوظا) لما دخلت الاسطبل لأرى المهر الجديد ، قال لى الخادم من غير أن أسأله : « الجو اليوم حار » ، ووضع يده بحذاء نهـدى الأيسر . فقلت له : « توقف » . لكنـه استمر رغم ذلك ، فى تحسيساته الفاجرة ، فأثار ذلك غضـبى . وقبل أن أتبين نواياه الشريرة ، اعتدى علىّ . وحدث ما حدث حينما دخل علينا أبو زوجى وداس علىّ خطأ .

صاحب الخان : (مبررا فعله) بالنيابة عن ابنى .

أزدك : (مخاطبا الخـادم) : هل تعترف أنك بدأت .

الخادم : نعم ياحضرة القاضى .

أزدك : يالودوڤيكا ! هل تأكلين الحلوى كثيرا ؟

لودوڤيكا : نعم ، آكل حبّ عباد الشمس .

أزدك : وحينما تستحمين ، هل تحبين المكوث طويلا فى الحمـام ؟

لودوڤيكا : نصف ساعة ، تقريبا .

أزدك : سيدى وكيل النيابة ! ضع سكينا هنـاك على الأرض . (شوڤا ينفذ الأمـر) . يالودوڤيكا ، اذهبى والتقطى سكينة السيد وكيل النيابة .

(لودوڤيكا ، تجرر أفخاذها ، وتذهب ناحية السكينة وتلتقطها)

أزدك : (وهو يشير اليها باصبعه) : هل ترون هذا ؟ هل ترونها كيف تتماوج؟ الآن عُرف من هو الجانى. وثبت الفسق بالاكراه . انك يالودوڤيكا باسرافك فى أكل الحلويات والطعـام عامـة ، وبمكوثك طويلا فى الحمام فى الماء الفاتر، وبكسلك وبشرتك الرخوة — انك قد هتكت عرض هذا الولد . هل تظنين أنك تستطيعين أن تتمخطرى فى كل مكان بمثل هذه الأرداف ثم تخدعين المحكمة ؟ ان هذا اعتداء مع سبق اصرار بسلاح ممنوع . ولهذا حكمت عليك المحكمة بأن تسلمى اليها ، أى الى المحكمة ، المهر المذكور ، الذى اعتاد أبو زوجك أن يركبه بالنيابة عن ابنه ، وفى تلك الأثناء عليك

يالودوفيـــكا أن تأتى معى الى الاســطبل حتى تستطيع المحكمة أن تفحص مكان الجريمة .

(على الطريق العام فى جيورجيـــا ، أزدك جالس على كرسى وينتقل من مكان الى مكان محمولا على أكتاف جنوده . وخلفه شـــوڤا يجر المشنقة ، والخادم يجر المهر)

المغنى والعازفون :

بينما كان أبناء الطبقة العليا يتنازعون
كان أبناء الطبقة الدنيا مسرورين
لأنهم لم يعودوا يعانون من الاستنزاف والمضايقة
الا القليل
وعلى طرقات جيورجيا العديدة
كان يسير أزدك ، قاضى الفقراء ،
مزودا تزويدا جيدا بمقاييس زائفة :
كان يأخذ من الأغنياء
ويعطى الفقراء من أمثاله
(١ وكانت علامته هى الدموع المنحدرة من الشمع
الأحمر ١) .
فى حماية أبناء طبقته

(١ ... ١) م : تحذف .

كان يسير القاضى الصالح الفاسد
قاضى جيورجيا الرؤم ، أزدك .

(يبتعد الموكب الصغير)

اذا أتيت الى جارك العزيز
فتعال ومعك فأس مسنونة
ودع الآيات المبتذلة والعبارات الطنانة
فماذا تفيد المواعظ الجوفاء ؟!
انظر ! ان الفأس تصنع المعجزات
وأزدك يؤمن أحيانا بالمعجزات .

(كرسى القاضى أزدك قائم فى خمـــارة . وثلاثة من كبار المزارعين يقفون أمام أزدك ، وشوڤا يقدم اليه خمرا . وفى الركن تقف فلاحة عجوزة . وتحت الباب المفتوح وخارج الخمارة يقف سكان القرية يتفرجـــون . وجندى يقف للحراسة حاملا علم فرقته)

أزدك : الكلمة الآن لوكيل النيابة العامة .

شـــوڤا : القضية تتعلق ببقرة . المتهمة لها بقرة منذ خمسة أسابيع فى الاسطبل الذى يملكه المزارع الكبير سورو . كذلك وجدت عندها فخذة خنزير مملحة

مسروقة ، وقد ذبحت أبقار يملكها المزارع الكبير شوتيف لما أن طالب المتهمة بدفع ايجار فدان .

كبار المزارعين : القضية خاصة بفخذتى ، يا صاحب السعادة .. القضية تتعلق ببقرتى ، ياصاحب السعادة .. القضية تتعلق بفدانى ، ياصاحب السعادة .

أزدك : ما قولك فى هذا يا أمى ؟

العجوزة : يا صاحب السعادة ! سمعت قرعا منذ خمسة أسابيع فى الليل قبيل الصبح على بابى ، وكان يقف بالباب رجل ذو لحية ومعه بقرة ، وقال : « ياسيدتى العزيزة ، أنا القديس قاطع الطريق صاحب الكرامات ، ولأن ابنك خر فى الحرب صريعا ، فانى أحضرت اليك هذه البقرة تذكارا . فاهتمى بها واعتنى » .

كبار المزارعين : انه اللص اراكلى ، ياصاحب السعادة ! — انه أخو زوجها ، ياصاحب السعادة ! سارق القطيع ، مشعل الحدائق ! — يجب شنقه !

(يسمع فى الخارج صراخ امرأة • يضطرب الجمهور ويتراجع • ويدخل قاطع الطريق اراكلى ومعه فأس كبيرة)

كبار المزارعين : اراكلى . (يشيرون بعلامة الصليب) .

قاطع الطريق : مساء الخير يا أصدقائى الأعزاء ! كأسا من النبيذ !

أزدك : يا وكيل النيابة ! سطل نبيذ للزائر ! من أنت ؟

قاطع الطريق : راهب سائح ، يا صاحب السعادة ، وأشكرك على هذه الهدية اللطيفة . (يفرغ فى جوفه السَّطْل الذى أعطاه له شوقا) سَطْلا آخر !

أزدك : أنا ، أزدك . (ينهض وينحنى . قاطع الطريق يعمل المثل) ان المحكمة ترحب بقدوم الراهب القادم من بعيد . أكملى روايتك ، أيتها العجوز الطيبة .

العجوزة : يا صاحب السعادة ! لم أعرف فى الليلة الأولى أن القديس قاطع الطريق يستطيع صنع الكرامات ، فلم يكن ثم غير البقرة . لكن بعد ذلك بعدة أيام جاء خدم المزارعين فى أثنــاء الليل وأرادوا أن يأخذوا البقرة منى . واذا بهم ينصرفون من أمام بابى وعادوا أدراجهم بدون بقرتى ، ونبتت فى رءوسهم انتفاخات كبيرة مثل قبضات الأيدى . هنالك فهمت أن القديس قاطع الطريق غير قلوبهم وجعلهم ناسا طيبين .

(قاطع الطريق يضحك ضحكا عاليا)

المزارع الأول : أما أنا فأنا أعرف من الذى غيرهم .

أزدك : حسنا ، ستروى لنا ذلك فيما بعد . استمرى !

العجوزة : يا صاحب السعادة ! وأول من أصبح بعد ذلك رجلا طيبا هو المزارع شوتيف ، وهو شيطان كما يعرف الجميع . ولكن القديس قاطع الطريق رتب الأمر بحيث جعله يعفينى من ايجار الفدان الصغير .

المزارع الثانى : لأنى وجدت بقراتى مذبوحة فى المرعى .

(قاطع الطريق يقهقه)

العجوزة : (باشارة من أزدك) : أما فخذ الخنزير المملحة فقد ألقى بها ذات صباح من الشباك فى بيتى ، فأصابتنى فى حقوى ، ولا أزال أعرج منها ، انظر! يا صاحب السعادة . (تخطو بضع خطوات . قاطع الطريق يضحك) . يا صاحب السعادة ! انى أسألك هذا السؤال : متى جيء لعجوز فقيرة بفخذة خنزير مملحة الا بمعجزة ؟

(يبدأ قاطع الطريق فى التنهد)

أزدك : (مغادرا كرسيه) : أيتها العجوز الطيبة ، هذا سؤال يمس قلب المحكمة (١) . تفضلى فاجلسى.

(العجوزة ، بعد شيء من التردد ، تجلس على كرسى القاضى • أزدك يجلس على الأرض ، وفى يده كأس من النبيذ)

أزدك :

أيتها العجوز الطيبة ، أكاد أسميك « جورجيا أمّنا الرءوم » .

التى تعانى الآلام والتى نهبوها ، ومضى أبناؤها الى ميدان القتال
وضربوها باللكمات ، ولكنها مليئة بالآمال
انها تذرف العبرات ، حينما تتلقى بقرة
وتدهش حينما لا تضرب
أيتها العجوز الطيبة ، ارحمينا نحن الهالكين!

(صارخا فى كبار المزارعين)

اعترفوا بأنكم لا تؤمنون بالمعجزات ، أيها الكفار ! حكم على كل واحد منكم بغرامة قدرها

---

(١) م + : هات العلم ! (أحد الجنود يرفع علم المحكمة الى جوار كرسى القاضى)

خمسمائة قرش بسبب كفركم . اخرجوا ! (كبار المزارعين يتسللون ذاهبين) . وأنت أيتها الأم ، وأنت أيها الرجل التقىّ اشربا كأسا من النبيذ مع النيابة العامة والصديق أزدك .

المغنى والعازفون :

وهكذا كُسر القانون
كما يكسر الخبز ليطعموا
وعبر بالشعب الى الشاطىء على بقايا القانون
والوضعاء والدهماء وجدوا أخيرا
قاضيا يستطيعون شراءه بغير مقابل ، وهو أزدك
وطوال سبعماية وعشرين يوما
ظلّ يزن شكاواهم بميزان مزيف
وكان يتحدث اليهم حديث الناس للناس
وعلى كرسى القضاء ، يعلوه عود المشنقة ،
كان أزدك يوزع العدالة الزائفة

المغنى :

واتهى عهد الاضطراب ، وعاد الدوق الكبير
وعادت زوجة الحاكم ، وانعقدت جلسة المحكمة

ومات كثيرون ، واندلعت النيران من جديد فى الضواحى
واستولى الخوف على أزدك .

(كرسى أزدك يوجد فى قاعة المحكمة من جديد . أزدك جالس على الأرض يرقع حذاءه وهو يتحدث مع شوقا . ضجة فى الخارج . خلف الحائط يرى رأس الأمير البدين محمولة على رمح) (١)

أزدك : شوقا ! لم يبق على استعبادك غير أيام معدودات بل ربما دقائق. وانتهى بالنسبة الىّ كبح جماحك بلجام العقل الذى أدمى حلقك ، وجلدك بسياط الحجج العقلية ، والقسوة عليك بطعنات المنطق . انك بطبعك ضعيف ، وحينما تلقى اليك حجة خبيثة فينبغى عليك أن تلتهمها ، فهى أقوى منك. وأنت بطبعك تحب أن تلعق يد كائن أعلى منك ، لكن كائناتك العليا أنت تأخذها من كل نوع ، وهأنت ذا ستحرر عما قليل . وتستطيع بعد ذلك أن تتبع ميولك ، وهى وضيعة ، وغريزتك المعصومة التى تعلمك أن تضع نعلك المفلطح فى

(١) م + شوقا : لقد كان هذا هو الأمير القوى كازبكى .

وجوه النـــاس ، اذ انتهى عهـد الاضـطراب والفوضى [١] ، ولم يأت العهـد العظيم الذى وجدته موصوفا فى أغنية الفوضى التى سنغنيها مرة أخرى ، تذكارا لذلك العهد الرائع ، فاجلس ولا تذبح الموسيقى . ولا تخش أن يسمعها أحد ، فاللحن يلذ كل انسان [٢] .

(يغنى)

احجبى وجهـك يا أختـــاه ، وأحضر ســكينك
يا أخى ، فقد انطلق الزمان من عقاله .
ان كبار القوم يشكون، وصغار الناس مسرورون
والمدينة تقول : « فلنطرد من بيننا الأقوياء » .
ستحطم الدواوين ، وقوائم العبيد ستمزق
والسادة وضعوا فى أحجار الطاحون ، والذين لم
يروا النور خرجوا للنور
وصناديق الأبنوس ستحطم ، والصندل الفاخـر
يقطع لصنع الأسرّة
والذى لم يكن عنده خبز أصبح عنده الآنأجران،

---

(١) م + : شوڤا : أوه ! أوه ! أوه !
(٢) م + : شوڤا : أوه ! أوه ! أوه !

والذى كان يعيش من توزيع القمح ، أصبح هو يوزع القمح

شـوڤا : آه ، آه ، آه .

أزدك :

ماذا تنتظر أيها القائد ؟ تعال ، انا نتوسل اليك ، تعال واخلق النظام ! ان ابن الرجل العالى المنزلة لم يعد يتعرفه أحد ؛ وابن السـيدة الجليلة قد أصبح ابن عبدتها .
وسادة الديوان يبحثون الآن عن مأوى فى غرف السقف ؛ ومن لم يكن يسمح له الا بالكد أن يتمدد على الجدار ، أصبح الآن يستمتع فوق سرير .
والذى كان يجدف بالقارب ، يملك الآن سفينة ؛ يأتى صاحبها لرؤيتها ولكنها لم تعد ملكا له .
خمسة أشخاص أرسلهم سيدهم ، فقالوا له : عليك أنت بالمسير ، فقد وصلنا نحن الى الهدف.

شـوڤا : آه ، آه ، آه !

أزدك : « ماذا تنتظر ، أيها القائد ؟ تعال ، انا نتوسـل اليك ، تعال واخلق النظام ! » .

نعم هذا هو ما كان يجب أن يحدث عندنا ، لو أن النظام أهمل طويلا . ولكن الدوق الكبير الذى أنقذتُ حياته ، أنا الثور المغفل ، قد عاد الى العاصمة وأمده الفرس بجيش لاقرار النظام . وها هى ذى الضواحى تحترق[1]. اذهب وآتنى بالكتاب الكبير الذى أجلس عليه دائما . (شوقا يأخذ الكتاب من على الكرسى . أزدك يفتحه) هذا هو القانون ، وأنا كنت دائما أستند اليه ، وأنت تشهد بذلك .

شوقا : نعم ، لكى تجلس عليه .

أزدك : الآن يحسن بى أن أنظر فيه قليلا لأطالع ما عسى أن يقدموه لى . لأنى أغمضت عينى عمن لا يملكون شيئا ، وهذا سيكلفنى ثمنا غاليا . وساعدت الفقر على الوقوف على قدميه الهزيلتين ، ولكنهم سيشنقوننى بتهمة السكر والعربدة ، ودسست أنفى فى جيوب الأغنياء ، وهذا فجور . وأنا لا أستطيع الاختباء فى مكان ، لأن الجميع يعرفوننى لأننى ساعدتهم جميعا .

---

(١) م + : شوقا : أوه ! أوه ! أوه !

شوقا : انهم قادمون .

أزدك : (ناهضا فى ذعر وهلع وهو يرتعد ، متجها ناحية الكرسى) : هذه هى النهاية . غير أنى لن أمكن أحداً من الشعور بلذة الحلم واظهار شيمة العفو . لكنى أتوسل اليك أن تشفق علىّ فلا تذهب الآن ان لعابى يساقط منى . وأشعر بفزع شبيه بالفزع من الموت .

(تدخل ناتلا أبشقيلى ، زوجة الحاكم ، هى والياور وجندى)(١)

زوجة الحاكم : شوقا ، من هذا الرجل ؟

أزدك : رجل مطيع ياصاحبة العصمة ، يضع نفسه فى خدمتك .

الياور : ان ناتلا أبشقيلى ، أرملة المرحوم الحاكم ، قد عادت وهى تبحث عن ابنها ميخائيل ، وعمره سنتان . وقد علمت أن احدى خادماتها القديمات قد حملته معها الى الجبال .

---

(١) م + : الياور : أين القاضى ؟

أزدك : سنعثر عليه من أجلك ياصاحبة العصمة ، نحن طوع أوامرك .

الياور : يبدو أن هذه المرأة ، الخادمة القديمة ، تدعى أنه ابنهـا .

أزدك : سيقطع رأسها ياصاحبة العصـمة ، نحن طوع أوامرك .

الياور : هذا كل ما فى الأمر .

زوجة الحاكم : (وهى تذهب) : هذا الرجل لا يسرنى .

أزدك : (مشيعا اياها حتى الباب وهو منحن انحنـاءة عميقة جدا) : سنسوى هذه المسألة كلها ياصاحبة العصمة ، نحن طوع أوامرك .

- ٦ -

دائرة الطباشير

المغنى :

اسمعوا الآن حكاية القضية التى أثيرت حول ابن الحاكم أبشفيلى وكيف عرفت الأم الحقيقة ، بفضل محنة دائرة الطباشير الشهيرة

(فى نوخا ، بقاعة المحكمة . جنود يحضرون ميخائيل ويصحبونه مخترقين القـاعة حتى يخرجوا به من الباب الذى فى الأعمـاق . جندى ذو رمح يوقف جروشـا تحت باب الدخول ، الى أن يخرج الطفـل ، ثم يطلق سراحها ويسمح لها بالدخول . تأتى ومعها الطباخة التى كانت تعمل فى بيت الحاكم السابق أبشفيلى . ضجة من بعيد ، ولمعان حرائق فى السماء)

جروشا : انه طفل لطيف ، يعرف كيف يغسل نفسه بنفسه.

الطباخة : بختك عظيم ! انه ليس قاضـيا على الاطلاق ، بل هو أزدك المعروف . انه سكير ، لا يفهم فى القضاء شيئا ، حتى انه كان يحكم بالبراءة على

اللصوص والمجرمين العتاة . ولما كان يخلط بين الأشياء ، والأغنياء لا يعطونه ما يكفيه من النبيذ فان الناس مثلنا يسيرون أمورهم معه على وجه مرضى .

جروشا : انى فى أشد الحاجة اليوم الى الحظ .

الطباخة : لا تتحدثى عن الحظ ، فان هذا يفزعه . (ترسم علامة الصليب) وأعتقد أن من الأفضل أن أتلو دعوات على المسبحة بسرعة راجية أن يكون سكران . (تدعو دعوات وهى تحرك شفتيها دون صوت ظاهر ، بينما جروشا تحاول عبثا أن تشاهد الطفل) . هناك شىء لا أفهمه : لماذا تريدين الاحتفاظ به بكل قوة فى هذه الأيام ، ما دام ليس ابنك ؟

جروشا : انه لى : لأنى أنا الذى ربيته .

الطباخة : ألم تفكرى أبدا فيما عسى أن يحدث اذا هى عادت ؟

جروشا : فكرت أولا فى أن أرده اليها ، ثم اعتقدت بعد ذلك أنها لن تعود أبدا .

الطباخة : والثوب المستعار يدفىء هو الآخر ، أليس كذلك؟ (جروشا تؤمن على كلامها بحركة من رأسها) . سأحلف على كل ما تطلبينه ، لأنك بنت طيبة . (وهى تتلو درسها) : كان يقيم عندى لقاء خمسة قروش ، ثم استردته جروشا فى يوم عيد الفصح فى المساء حينما قامت الاضطرابات . (تلاحظ أن سيمون قادم) . ولكنك أسأت التصرف مع سيمون ، لقد تكلمت معه ، فلم يدخل هذا فى عقله .

جروشا : (وهى لم تلحظ قدوم سيمون) : الآن اذا كان لايفهم ، فلا أستطيع أن أفعل شيئا من أجله .

الطباخة : لقد فهم أن الطفل ليس ابنك ، لكن الشىء الذى لا يستطيع أن يفهمه هو أنك تعيشين فى حالة زواج وأنك لم تعودى حرة حتى يأتى الموت فيفرق بينك وبين زوجك .

(جروشا ترى سيمون وتحييه)

سيمون : (حزينا) : أريد أن أؤكد يا سيدتى أننى مستعد للشهادة وحلف اليمين بأن والد الطفل هو أنا .

جروشا : (برقة) : حسنا ياسيمون .

سيمون : وأريد فى نفس الوقت أن أقرر أن هذا لا يترتب عليه بالنسبة الىّ أى التزام ، وكذلك بالنسبة الى السيدة ، جروشا .

الطباخة : ليس هذا ضروريا . انها متزوجة كما تعلم .

سيمون : هذا شأنها ، ولا داعى لذكر هذا باستمرار .

(يدخل جنديان)(١)

الجنديان(٢) : أين القاضى ؟ هل رأى أحدكم القاضى ؟

جروشا : (ملتفتة ومخفية وجهها) : قفى أمامى . ما كان ينبغى لى أن آتى الى نوخا . أرجو ألا أقابل وجهها لوجه العريف الذى ضربته على رأسه .

احد الجنديين : (اللذين أحضرا الطفل يتقدم) : ألم يحضر القاضى ؟

(الجنديان يستمران فى التفتيش)

الطباخة : فَلنَرجُ ألا يكون قد حصل له شىء . مع قاض آخر لن يكون لك أى حظ ، كالدجاجة لا أمل لها فى أن تكون لها أسنان .

(يدخل جندى ثالث)

---

(١) م : يدخل العريف وجنديان .

(٢) م تعدل هكذا : العريف : أين القاضى ؟
الجندى : هل رأى أحدكم القاضى ؟

الجندى : (الذى سأل عن القاضى يضع تقريره) : لا أحد غير زوجين عجوزين وطفل . لقد هرب القاضى .

الجندى الثالث(١) : فلنفتش أكثر .

(الجنديان الأولان يخرجان بسرعة، والثالث(٢) لايتحرك . جروشا تصرخ . يتلفت الجندى . انه العريف . ندبة كبيرة شقت وجهه نصفين)

الجندى : (عند الباب) : ماذا حدث ياشوقا ؟ هل تعرفها ؟

العريف : (بعد أن تطلع اليها وقتا طويلا فى ذهول ودهشة): لا .

الجندى : (عند الباب) : يظهر أنها سرقت ابن أبشفيلى . فان كنت تعرف شيئا عن هذا الموضوع ، فانك تستطيع أن تكسب من وراء هذا مبلغا محترما .

(العريف يبتعد وهو يسب)

الطباخة : هذا هو ؟ (جروشا تشير علامة أنه هو) أظن أنه سيمسك لسانه ، والا لكان عليه أن يعترف بأنه كان يطارد الطفل .

جروشا : (وقد استراح خوفها) : كدت أنسى : فالواقع أننى أنقذت الطفل ، بينما كانوا هم يطاردونه .

(تدخل زوجة الحاكم ومعها الياور ومحاميان)

---

(١) م : العريف . (٢) م : والعريف .

زوجة الحاكم: الحمد لله ، ليس هنا شعب ، فأنا لا أحتمل رائحته انها تجعلنى أشعر بالصداع .

المحامى الأول: ياسيدتى العزيزة ! كونى عاقلة فى كل ما تقولين قدر المستطاع ، الى أن يعيّن قاض جديد .

زوجة الحاكم: لكنى لم أقل شيئا أبدا ، يا الو شوبولادزى . انى أحب الشعب ببساطة نفسه واستقامته ، وانما رائحته فقط هى التى تصيبنى بالصداع .

المحامى الثانى: لا أعتقد أنه سيكون هنا متفرجون . فغالبية الناس يجلسون فى داخل بيوتهم ، بسبب الاضطرابات التى تجرى فى الضواحى .

زوجة الحاكم: أهذه هى المرأة ... ؟

المحامى الأول: يا عزيزتى ناتلا أبشقيلى ! أرجوك أن تكفى عن كل سباب ؛ وعلينا أن نتأكد أولا أن الدوق الكبير قد عين القاضى الجديد وأننا تخلصنا من القاضى الحالى ، وهو أحط من لبس ثوب القضاء . الأمور بدأت تتحرك . أنظروا !

(يدخل فى القاعة جنديان)

الطباخة: سيدتنا العزيزة ستنتزع شعرك فورا اذا لم

تعرف أن أزدك يعمل لصالح الطبقة الدنيا ، انه يحكم بحسب الرءوس .

(بدأ جنديان فى ربط حبل ذى خية فى العمود . ثم يدخل أزدك مقيدا فى القاعة ، ومن خلفه جاء شوقا ، مقيدا هو الآخر . وخلف شوقا المزارعون الكبار الثلاثة)

هكذا أردت الهروب ، أليس كذلك ؟

(يضرب أزدك)

انتزعوا منه ثوب القضاء قبل شنقه .

(الجنود وكبار المزارعين ينتزعون ثوبه . تبدو ثيابه البالية الممزقة . أحد الجنود يدفعه دفعة)

(دافعا به نحو الآخر) : أنت تريد كومة من العدالة ؟ خذه اذن .

(يصيح : «انه لك» ، «ماذا أصنع به» ، ويدفع كل منهما أزدك الى الآخر ، فيسقط أزدك على الأرض . فيرفعانه من رأسه ويجرانه تحت خية الحبل)

زوجة الحاكم: (وهى تصفق بحماسة لمشهد « لعبة الكرة » هذه) : هذا الرجل لم يسرنى منظره من أول لحظة .

أزدك : (وقد سالت منـــه الدماء ، وظــل ينهج) : انى لا أكاد أرى هاتوا قطعة قماش .

الجندى الثانى : ماذا تريد أن ترى ؟

أزدك : أريد أن أراكم ياكلاب (يجفف الدم من عينيه بقميصه) : بارك الله فيكم يا كلاب ! كيف حال هذا العالم الكلب ؟ هل يفوح منه النتن كما هو ؟ هل أعطيتم نعــلا لتلعقــوه ؟ هل بدأتم يعض بعضكم بعضا يا كلاب ؟

(فارس عليه غبار كثير يدخل مع عريف . يخرج أوراقا من حقيبة من الجلد ويلقى نظرة فيها . ـ والآن يتدخل)

الفارس : أوقفوا ! ها هو ذا المرسوم الذى أصدره الدوق الكبير بشأن التعيينات .

العريف : (صائحا) : سكوت .

(الكل يسكتون ولا يتحركون)

الفارس : فيما يتعلق بالقاضى الجـديد ، تقـرر ما يلى : « وقد عينا فى هذا المنصب رجلا له الفضل فى المحافظة على حياة عزيزة علينا ، وهذا الرجل هو المدعو أزدك ، من نوخا » . من هو ؟

شـوقا : (مشيرا الى أزدك) انه الرجل الذى هم بسبيل شنقه ، يا صاحب السيادة !

العريف : (صائحا) : ما معنى هذا ؟

الجندى : لى الشرف أن أقرر أن سعادته كان صاحب سعادة سابقا ، ولكنه اعتبر من أعداء الدوق الكبير بناء على تبليغ المزارعين الحاضرين هنا .

العريف : (مشـيرا الى كبـار المزارعين) أحضروهم . (يحضرون ، فيقومون بانحناءات لا نهاية لها) راعوا ألا تضايقوا بعدُ صاحب السعادة .

(يخرج مع الفارس)

الطباخة : (مخاطبة شوقا) . لقد صفقتْ . آمل أن يكون قد لاحظها .

المحامى الأول : هذه كارثة .

(أزدك يغمى عليه . ينزلونه ، فيعـود الى رشده ، ويلبسونه من جديد ثوب القضـاء ويسير وهو يترنح منفصلا عن الجنود)

الجنود : من غير حقد ، يا صاحب السـعادة ! ماذا يريد صاحب السعادة ؟

أزدك : لا شيء ، يا اخوانى الكلاب . حذاء لتلعقوه ، عند اللزوم . (مخاطبا شوقا) : عفوت عنك . (يحل قيوده) اذهب وأحضر نبيذا أحمـــر من النوع الحلو . (شوقا يخرج) اذهبوا ، فعندى قضية للنظر فيها . (الجنود يخرجون . شوقا يعود ومعه زجاجة نبيذ . أزدك يشرب جرعات كبيرة) شيء من أجل راحتى . (شوقا يحضر القانون ويضـــعه على الكرسى . أزدك يجلس عليه) . انى أقبض :

(وجوه الشاكين ، الذين كانوا فى نقـاش قلق ، تنفرج عن ابتسامة ارتياح . تسـمع همسات)

الطباخة : ياه !

سيمون : المثل يقـــول : « الينبوع لا يمتلىء من قطرات الندى » .

المحاميان : (وهما يقتربان من أزدك الذى نهض وانتظر فى أمـــل) : قضـــية مضحكة جـــدا ، يا صاحب السعادة . ان الخصم خطف الطفل ورفض أن يرده .

ازدك : (مادا يده وملتفتا ناحية جروشا) : حسن والله .

(يعطونه أكثر) هأنذا أعلن افتتاح الجلسة وابتداء المرافعة ، وأطلب منكم منتهى الصراحة . (مخاطبا جروشا) : خصوصا منك أنت .

المحامى الأول : أيتها المحكمة الموقرة ! يقول المثل ان الدم أغلظ من الماء . وهذه الحكمة الغالية ...

أزدك : المحكمة تود أن تعرف مقدار أتعاب المحامى .

المحامى الأول : (مندهشـــا) : ماذا ؟ (أزدك ، بلطف ، يحك الابهام فى السبابة) آه ، حسنا ! خمسماية قرش يا صاحب السعادة ، جوابا عن سؤال المحكمة غير المألوف .

أزدك : هل سمعتك تقول ان السؤال غير مألوف ؟ اذا كنت قد سألت هذا السؤال فذلك لأننى سأسمعك بأذن أخرى تماما حينما أعلم أنك تقاضيت أجرا كبيرا .

المحامى الأول : (بانحناءة) : شكرا يا صاحب السعادة . أيتها المحكمة الموقرة ! ان روابط الدم هى أقـــوى الروابط . أم وابن ، هل هناك رابطة أوثق ؟ هل يمكن انتزاع ولد من أمه ؟ أيتها المحكمة الموقرة،

انها هى التى حملت به فى ساعة نشوة الحب الطاهرة ، وهى التى حملته فى بطنها ، وغذته بدمها ، ووضعته وهى فى الآلام . أيتها المحكمة الموقرة ! ان النمرة المتوحشة نفسها شوهدت ، لما أن انتزعت منها أولادها ، تهيم على وجهها ولا تهدأ بين الجبال ، وقد أصابها الهزال حتى صارت شبحا من الأشباح . نعم ، ان الطبيعة نفسها ...

أزدك : (مقاطعا اياه ، ومخاطبا جروشا) : بم تردين على هذه العبارات وما بقى أن يقوله السيد المحامى ؟

جروشا : انه ابنى .

أزدك : هذا كل ما فى الأمر ؟ آمل أن تقدرى على اثبات ذلك . وعلى كل حال فانى أنصحك أن تقولى لى لماذا تعتقدين أنه ينبغى علىّ أن أحكم لك بالطفل .

جروشا : لقد ربيته أحسن تربية قدرت عليها ، ووجدت له دائما طعاما يأكله . وفى معظم الأحيان كان يجد سقفا يستظل تحته ، ومن أجله عانيت كل أنواع

المتاعب والمشاق وأنفقت مختلف ألوان الانفاق . اننى لم أبحث عن راحتى . وقد عودت الطفل أن يكون لطيفا مع الناس جميعا وأن يعمل قدر ما يستطيع ، وهو لا يزال صغيرا جدا .

المحامى الأول : يا صاحب السعادة ! انه لأمر بالغ الدلالة أن هذه السيدة نفسها لم تشر الى أية رابطة دموية بينها وبين هذا الطفل .

أزدك : المحكمة تسجل هذا .

المحامى الأول : شكرا يا صاحب السعادة . اسمحوا لامرأة تعانى المحن وتخشى بعد أن فقدت زوجها أن تفقد ابنها، اسمحوا لها بأن تقول بضع كلمات . ياناتلا أبشفيلى ..

زوجة الحاكم : (بصوت ضعيف) سيدى ! ان مصيرا قاسيا يضطرنى أن أرجو منك أن تعيد الىّ طفلى العزيز . ليس فى وسعى أنا أن أصف لك الآلام النفسية التى تعانيها أم حرمت من ابنها ، وما تشعر به من جزع ، ولا الليالى التى تقضيها دون أن يغمض لها جفن ...

المحامى الثانى : (وهو يندفع) : ان ما لقيته هذه السيدة لأمر لم يسمع بمثله من قبل . لقد منعوها من دخول قصر زوجها ، وجمدوا ريع أملاكها ، وقيل لها بكل برود ان هذا الريع مرتبط بشخص الوارث، وبدون الطفل لن تستطيع أن تفعل شيئا ، ولا تستطيع أن تدفع أتعاب محاميها ! (مخاطبا المحامى الأول وقد تضايق من اندفاعه ويشير عليه بالسكوت) : يا عزيزى الو شوبولادزى ، لماذا لا تقول ذلك صراحة ؟ ان القضية فى النهاية هى قضية تركة أبشقيلى .

المحامى الأول : أرجو ، يا عزيزى ساندرو أوبولادزى ! لقد اتفقنا فيما بيننا .. (مخاطبا أزدك) : طبعا ، صحيح أن نتيجة القضية ستقرر «أيضا» ما اذاكانت موكلتنا ستحصل على حق التصرف فى تركة أبشقيلى الضخمة جدا ؛ وأقول عن قصد : « أيضا » ، أى أنه ، لما أوضحت بحق ناتلا أبشقيلى فى أول كلامها المروع ان المسألة هى فى المقام الأول مسألة مأساة أم ، مأساة انسانية . فحتى لو لم يكن ميخائيل أبشقيلى الوارث لهذه

التركة ، فانه سيبقى لموكلتى ابنها العزيز الحبيب الغالى .

أزدك : لحظة ! ان المحكمة تدرك فى الاشارة الى التركة شاهدا على مشاعر انسانية .

المحامى الثانى : شكرا يا صاحب السعادة ! — يا عزيزى الو شوبولادزى ! اننا نستطيع على كل حال أن نثبت أن الشخص الذى وضع يده على الطفل ليس أم الطفل . فاسمح لى بأن أبين للمحكمة الحقائق مجردة : حينما هربت الأم ، بقى الولد ، ميخائيل أبشقيلى فى مكانه ، بفعل سلسلة من الظروف الأليمة . والمدعوة جروشا ، البنت الطباخة فى القصر ، كانت موجودة فى يوم الفصح هذا ، وشوهدت تحوم حول الطفل ...

الطباخة : ان السيدة (زوجة الحاكم) لم تكن تفكر ساعتئذ الا فى الفساتين التى ستهرب بها !

المحامى الثانى : (دون أن يضطرب) : وبعد ذلك بعام تقريبا ، ظهرت المدعوة جروشا فى قرية بالجبال ومعها طفل وتزوجت بـ ...

أزدك : كيف وصلت الى هذه القرية القائمة فى الجبال ؟

جروشا : على قدمى يا صاحب السعادة ، وكان الطفل طفلى .

سيمون : أنا أبوه ، يا صاحب السعادة .

الطباخة : كان يقيم عندى يا صاحب السعادة ، لقاء خمسة قروش .

المحامى الثانى : ان هذا الرجل، أيتها المحكمة الموقرة ، هو خطيب المدعوة جروشا ، ولهذا فان أقواله لا تستحق أية ثقة .

أزدك : هل أنت الذى تزوجته فى تلك القرية القائمة فى الجبال ؟

سيمون : لا ، يا صاحب السعادة . لقد تزوجت بفلاح .

أزدك : (مشيرا الى جروشا بالاقتراب) : لماذا ؟ (مشيرا الى سيمون) هل هو لا يصلح فى الفراش ؟ قولى الحقيقة .

جروشا : اننا لم نصل الى هذا الحد . لقد تزوجت بسبب الطفل : ليكون له سقف يؤويه . (مشيرة الى سيمون) : لقد كان فى الحرب يا صاحب السعادة.

أزدك : والآن ، ها ؟ يريد أن يعود اليك ؟

جروشا : (غاضبة) : اننى لم أعد حرة بعد ، ياصاحب السعادة .

سيمون : أريد أن أسوى المسألة ..

أزدك : والطفل ، أنت تؤكدين أنه ولد من العهارة ؟ (ولما رأى أن جروشا لا تجيب ، قال) : انى أسألك سؤالا : أى ولد هذا ؟ هل هو ابن زنا فقير الأبوين ، أو ولد كما يجب ، ابن أسرة غنية؟

جروشا : (بشراسه) : ولد كأى ولد آخر .

أزدك : أقصد : هل كشف مبكرا عن علامات ترف ؟

جروشا : لقد كشف عن أنف فى وسط الوجه .

أزدك : كشف عن أنف فى وسط الوجه . أعتقد أنك بهذا أجبت بجواب مهم . يقال عنى اننى قبل أن أصدر الحكم ذات مرة خرجت لاستنشاق عبير شجرة الورد . وهذه أمور تتعلق بالمهنة ، وأنا اليوم فى حاجة الى شىء من ذلك . ولكنى سأقف المحاكمة عند هذا الحد ولن أسمع بعد شيئا من أكاذيبكم

(مخاطبا جروشا) : وخصوصا أكاذيبك أنت .

(مخاطبا هيئة الدفاع) أستطيع أن أتخيل أية طبخة طبختموها لخداعى . اننى أعرفكم . أنتم نصابون .

جروشا : (باندفاع) : أعتقد أنك تريد أن توقف المحاكمة ، بعد أن رأيت أنك قبضت .

ازدك : أغلقى فمك . هل أخذت منك شيئاً ؟

جروشا : (برغم الطباخة التى أرادت منعها) : أنا لا أملك شيئاً طبعا .

ازدك : تمام . منكم أيتها البطون الخاوية أنا لا أقبض مليما ، ومعكم أستطيع أن أموت جوعا . أنتم تطلبون العدل ، لكن هل تريدون أن تدفعوا ؟ حينما تذهبون الى الجزار تعلمون مقدما أنه لابد أن تدفعوا ، أما عند القاضى فأنتم تذهبون وكأنكم ذاهبون الى جنازة .

سيمون : (بصوت مرتفع جدا) : ان المثل يقول : « لما جاءوا لتنعيل الفرس مد أبو جعران رجليه » .

ازدك : (مجاوبا فى الحال) : « كنز فى الخرارة خير من حصوة فى النبع » .

سيمون : « يوم جميل ، أفلا نذهب للصيد ؟ هكذا قال الصياد للطُّعْم »

ازدك : « أنا سيد نفسى ، هكذا قال العبد وقطع رجله » .

سيمون : « اننى أحبكم محبة الوالد ، هكذا قال القيصر للفلاحين وأمر بقطع رأس ولى العهد » .

ازدك : « أعدى أعداء المجنون نفسه » .

سيمون : ولكن « الفساء لا أنف له » .

ازدك : غرامة عشرة قروش بسبب الكلام بلغة غير لائقة فى حضرة المحكمة : وهذا يعلمك كيف تحترم العدالة .

جروشا : يالها من عدالة نظيفة ! أنت تغرمنا لأننا لا نحسن تنميق الكلام مثلها هى ومحامييها .

ازدك : تمام . انك فعلا حمقاء . من الخير أن يضغط المرء على غطائك .

جروشا : لأنك تريد أن تحكم لها بالطفل ، لها هى ، لكنها أرق من أن تعرف كيف تنظف له . ليكن فى بالك أنك لا تفهم فى القضاء أكثر مما أنا أفهم .

ازدك : هذا الكلام فيه شىء من الصدق . فأنا رجل لم أتعلم ، وسراويلى تحت ثوبى مملوءة بالخروق ؛ تطلعى بنفســـك . كل الذى يهمنى هو الأكل والشرب ، وقد تعلمت فى مدارس الرهبان . وأنت أيضا أنا أحكم عليك بعشرة قروش لأنك أهنت المحكمة . وفضلا عن ذلك فلا بد أنك امــرأة حمقاء ، لأنك جعلتنى ضدك ، بدلا من أن تنظرى الىّ نظرات رقيقة وتهزى أردافك أمامى قليلا حتى ينبسط مزاجى . عشرين قرشا !

جروشا : وحتى لو كانت ثلاثين ، فأنى سأقول لك ما أعتقده بشأن عدالتك ، أيها البَصَل السكران ! بأى وجه تتخذ معى لهجة القديس على زجــاج الكنيسة وتخاطبنى كأنك سيد ؟ حينما جروك من بطن أمك ، لم يفعلوا ذلك لكى تضربها على أصابعها اذا أخذت كوزين ذرة عويجى . ألا تخجل وأنت ترانى أرتعــد أمامك ؟ لقد تركتهم يستأجرونك خادما لهم ، لكيلا تؤخذ منهم بيوتهم ، مع أنهم سرقوها : فمنذ متى كانت البيوت ملكا للبق ؟

لكن انتبه واحذر ، والا ما استطاعوا أن يبعثوا برجالنا الى حروبهم ، أيها المأجور .

(أزدك ينهض ، وجهـــه يشرق . يضرب بمطرقته الصغيرة ضربا رقيقا ، وكأنه يريد اقرار السكوت ، لكن شتائم جروشا تستمر ، فيكتفى فى النهاية ، بضربات ايقاعية)

جروشا : إنى لست خائفة منك ، كما أنى لا أخاف من لص أو قاطع طريق معه سكين ، فأنا لا يهمنى شىء . يمكنك أن تنتزع منى الطفل ، فهنــاك عشرون فرصة ضد فرصة واحدة ، لكنى أريد أن أقول لك شيئا :

يجب بالنسبة الى مهنة كمهنتك ألا يختاروا غير فاضحى الأولاد والمرابين عقابا على اضطرارهم للتحكم فى أشباههم ، اذ هذا أسوأ من الشنق فى الشانق .

ازدك : (وهو يجلس) : والآن الغرامة ثلاثون ، ويكفى شجارا معك كشجار الناس فى الخمارة ، والا فأين هيبة القضاء ؟ وعلى كل حــال فان قضيــتك لا تسرنى بعــد . أين الاثنــان اللذان يريدان

الطلاق ؟ (مخاطبا شوقا) : دعهما يدخلا . أما فيما يتعلق بهذه القضية ، فتتوقف المحاكمة لمدة ربع ساعة .

المحامى الأول: (بينما شوقا يخرج) : اذا لم نضف شيئا آخر ياسيدتى ، فان الحكم مضمون فى صالحنا .

الطباخة : (مخاطبة جروشا) : لقد أفسدت قضيتك عنده ؛ لن يحكم لك بالطفل .

زوجة الحاكم: شالقا ، هات زجاجة العطر .

(يدخل رجل عجوز جدا وزوجته العجوزة)

أزدك : انى أقبض . (العجوزان لا يفهمان .) بحسب علمى أنتما تريدان الطلاق . منذ متى تزوجتما؟

العجوزة : منذ أربعين سنة ، يا صاحب السعادة .

أزدك : ولماذا تريدان الطلاق ؟

العجوز : لم نعد على وفاق ، ياصاحب السعادة .

أزدك : منذ متى ؟

العجوز : لم نكن على وفاق أبدا ، ياصاحب السعادة .

أزدك : سأنظر فى قضيتكم ، وأصدر الحكم بعد الانتهاء

من القضية الأخرى . (شوقا يأخذهما الى نهاية القاعة) هاتوا الطفل . (يشير الى جروشا بأن تأتى ، ويميل عليها بشىء من المودة والتلطف) لقد رأيت أن عندك شيئا من الاحساس بالعدالة . انى لا أصدقك حينما تقولين انه ابنك ؛ لكن اذا كان ابنك ، أفلا تودين أيتها المرأة أن يكون غنيا ؟ ولهذا ما عليك الا أن تقولى انه ليس ابنك ، وفى الحال سيكون له قصر وتكون له كل هذه الخيول عند المذاود ، وكل هؤلاء المتسولين على بابه ، وكل هؤلاء الجنود فى خدمته ، وكل أصحاب المطالب هؤلاء فى قصره ، أليس كذلك ؟ بم تجيبين علىّ ألا تودين أن يريه غنيا ؟

(جروشا تلتزم الصمت)

المغنى : اسمعوا ما فكرت فيه وهى غاضبة ، ولكنها لم تفصح عنه . (يغنى) :

ان مشى فى الذهب
داس فوق الضعيف
واستباح الحرام
دون خوف الملام

ما أشق احتمال
عبء قلبٍ حجر
ما أشق النفوذ
ما أشق البطر
ان خوف المجاعة
دون خوف الجياع
ان خوف الظلام
دون خوف الضياء

ازدك : أيتها المرأة ، أعتقد أننى أفهمك .

جروشا : اننى لن أتخلى عنه أبدا . أنا التى ربيتــه وهو يعرفنى .

(شوڤا يدخل بالطفل)(١)

زوجة الحاكم : هكذا فى ثياب بالية ممزقة !

جروشا : هذا غير صحيح . انهم لم يتركوا لى فسحة من الوقت لالباسه قميصه الجميل .

زوجة الحاكم : كان يقيم فى زريبة خنازير .

جروشا : (غاضــبة) : أنا لست خــنزيرة ، لكنى أعرف خنزيرات . أين تركت ابنك ؟

(١) م+: شوڤا : الطفل، ياصاحب السعادة!

زوجة الحاكم : (١ سأريك يا قذرة ١) ! (تريد أن تهجم على جروشا ، لكن محامييها يمنعانها) انها مجرمة ، أريد أن تجلدوها حتى الموت .

المحامى الثانى : (وهو يغلق فمها) : ياتاتلا أبشــڤيلى ، لقــد تعهدت .. ياصاحب الســعادة ، ان أعصــاب الشاكية ...

ازدك : أيتها الشاكية ، وأنت أيتها المتهمة : لقد استمعت المحكمة الى أقوالكما ولم تستطع أن تتبين باقتناع من هى أم هذا الطفل الحقيقية . وعلىّ بوصفى قاضيا أن أقرر من الأم . سأنظم لذلك امتحانا . ياشوڤا ! خذ قطعة من الطباشير ، وارسم دائرة على الأرض . (شوڤا يرسم بالطباشير دائرة على الأرض) . ضع الطفل داخل الدائرة . (شوڤا يضع ميخائيل فى الدائرة ، ميخــائيل يضحك لجروشا) . أيتها الشاكية وأنت أيتها المتهمــة ! قفا على جانبى الدائرة (زوجة الحاكم وجروشا تقفان بالقرب من الدائرة) . كل واحدة منكما

(١ ... ١) م : تحذف .

تمسك بالطفل من يده التى فى ناحيتها . والأم الحقيقية منكما هى التى ستكون عندها القوة على شد الطفل الى خارج الدائرة .

المحامى الثانى : (محتدا) أيتها المحكمة الموقرة ! انى أعترض على هذا الاجراء الذى يجعل مصير تركة أبشقيلى الطائلة — وهى تركة مرتبطة بشخص الوارث — متوقفا على صراع مشكوك فيه . وفضلا عن ذلك ، فان موكلتى ليست لها من القوة ما لهذه المرأة التى اعتادت القيام بالأعمال اليدنية .

ازدك : يخيل الى أنها معلوفة علفا جيدا . هيا[1] ، شدا !

(زوجة الحاكم تشد الطفل الى خارج الدائرة. لقد تركته جروشا وبقيت مكانها مسمرة)

المحامى الأول : (وهو يهنىء زوجة الحاكم) : ماذا قلت ؟ رابطة الدم !

ازدك : (مخاطبا جروشا) : ماذا جرى لك ؟ انك لم تشدى .

جروشا : لم أمسك به جيدا . (تندفع نحو أزدك) ياصاحب السعادة ! انى أسحب ما قلته ضدك ، وأرجو

(١) م + :لتمسك كل منكما الطفل من احدى يديه ! واحدا ! اثنين ! ثلاثة ! ـ شدا !

منك العفو . آه لو تركه لى حتى يستطيع أن يتهجى كل الكلمات ! أنه لا يعرف أن يتهجى غير القليل من الكلمات .

ازدك : لا تحاولى التأثير فى المحكمة . فأنا أراهن أنك لا تعرفين أكثر من عشرين كلمة . حسنا ! سأعيد الامتحان ، للفصل النهائى فى القضية[1] . شدا[2] !

(السيدتان تأخذان موقفهما . وجروشا تترك الطفل مرة أخرة)

جروشا : (يائسة) : أنا التى ربيته ! هل أنتزع أطرافه ؟ لا أستطيع .

ازدك : (ناهضا) : الآن تبين للمحكمة من هى أمه الحقيقية . (مخاطبا جروشا) : خذى ابنك واخرجى به من هنا ! وأنصحك نصيحة : لاتمكثى به فى هذه المدينة . (مخاطبا زوجة الحاكم) : وأنت[3] ، اذهبى قبل أن أحكم عليك بتهمة الادعاء الكاذب . وأموال التركة تعطى للمدينة ، ويعمل

(١) م + : المحامى الأول : ولكن ياصاحب السعادة !
(٢) م + : واحد ! اثنين ! ثلاثة ! شدا ! .
(٣) م + : وأنت ياناتلا أبشقيلى !

بها حديقة عامة للأطفال ، فهم فى حاجة الى ذلك ، وآمر أن تسمى : « حديقة أزدك » تخليدا لذكراى .

(زوجة الحاكم يغمى عليها ؛ والياور يخرج بها · المحاميان سبقا الى الخروج · جروشا تبقى مكانها دون حراك · شوفا يقود اليها الطفل)

ازدك : لأنى سأخلع ثوب القضاء ، وقد بدأ يحرق بدنى. ولم ألعب بعد دور البطل . ولكنى أدعوكم أولا الى حلقة رقص صغيرة فى الخارج على العشب ، على سبيل الوداع . آه ! مع كل هذه النشوة فقد نسيت شيئا ، أعنى مسألة الطلاق .

(مستعملا الكرسى كمنضدة ، يكتب شيئا على ورقة ويتأهب للذهاب · بدأت موسيقى الرقص)(١)

شوفا : (بعد أن قرأ ما فى الورقة) : لكن المسألة ليست هكذا . انك لم تحكم بالطلاق بين العجوزين ، بل بين جروشا وزوجها ! (*)

---

(١) م + : العجوزان يتطلعان الى الورقة فى دهشة .

* ··· * : تحذف .

ازدك : هل حكمت بالطلاق بين من لا يجب تطليقهما ؟ أنا آسف ، ولكن اترك الحكم هكذا ، فانى لن أغير منه شيئا ، لأن التغيير يتنافى مع حسن النظام (١) . (مخاطبا العجوزين) : وتعويضا لكما عن هذا ، فانى أدعوكما الى حفلتى هذه ، فارقصا معا فان هذا سيسركما . (مخاطبا جروشا وسيمون) : أما أنتما فعليكما لى أربعون قرشا .

سيمون : (مخرجا كيس نقوده) هذا رخيص ، ياصاحب السعادة ! وشكرا جزيلا !

أزدك : (واضعا النقود فى جيبه) : سأكون فى حاجة الى هذا المبلغ .

جروشا : هيه يا ميخائيل ! الأحسن أن نغادر المدينة هذه الليلة ، ما رأيك ؟ (تريد أن تحمل الطفل على ظهرها . مخاطبة سيمون) : هل يعجبك ؟

سيمون : (حاملا الطفل على ظهره) : يشرفنى أن أقرر أنه يعجبنى .

---

(٢) م + : لقد طلقت جروشا من فلاحها · وأنتما ستظلان على غير وفاق أيها العجوزان ·

جروشا : والآن أريد أن أقول لك : اذا كنت أخذته ، فذلك لأنه فى أحد الفصح ذاك خطبتك . وهكذا يمكننا أن نقول انه وليد الحب . ياميخائيل ، هيا بنا نرقص .

(ترقص مع ميخائيل . سيمون يخاصر الطباخة ويرقص معها . والعجوزان هما أيضا يرقصان . أما أزدك فقد أطرق مفكرا ولم يتحرك . وعما قليل يحجبه الراقصون . وبين الفينة والفينة يظهر ، ولكن على نحو أندر ، كلما ازداد عدد القادمين الراقصين)

المغنى :

وبعد هذه الليلة اختفى أزدك ولم يعد يراه أحد

غير أن شعب جيورجيا لم يَنْسَه أبدا

بل ظل يذكر طويلا عهد قضائه ، ذكرهم لعصر ذهبى

ساد فيه ما يشبه العدالة

(الراقصون يغادرون المسرح ، وأزدك يختفى)

وأنتم يا من سمعتم قصة دائرة الطباشير

احفظوا حكمة الأقدمين :

ان الأشياء ينبغى أن تعطى للذين يقومون عليها خير قيام :

فالأولاد للأمهات اللواتى يرعينهم خير رعاية حتى يشبوا ويترعرعوا ،

والعربات للسائقين الفائقين حتى يكون السير جيدا ،

والوادى للذين يحسنون سقيه حتى ينتج خير الثمار .

موسيقى

(ختام)

الثمن ١٠ قروش

مطبعة مصر